الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1183
2024/3/26

لوحة للفنان انمار تقلا

ملف العدد

مئة عام على ولادة صانع الحكايا

أول الكلام

بحار الحكايا

▪ ديب علي حسن

لم يكن كما يظن أنه سوف يكون كاتباً، ولا أن يشغل هذا الحيز الكبير في الوسط الثقافي العربي والعالمي، وأن ينتظر الجميع رواياته.

حنا مينة ابن الفقر الأسود كما يقول عن نفسه.. تمنت أمه أن يكون ابنها راعياً أو شرطياً أو شحاذاً.. لكنه عمل حلاقاً وطاف البحار على متن السفن.

شهد وعاش البحر بكل حالاته قرأ أسراره ولاعب أمواجه.

هذه الأيام يمر مئة عام على ولادته.

مئة عام على حكاية طفل كبر وكبر ووصل إلى عمر متقدم وأثرى الأدب العربي والعالمي وظل حنا مينة البحار في كل شيء.

يكتب ويروي وينقد ويحاضر ويدافع عن المظلومين الذين ذاق مرارة عيشهم.

في هذا الملف تحية لروح حنا مينة واستذكار لجمال وألق الإبداع.

حنا قدم الرواية وقدم الكتاب النقدي والفكري.

كان وسيبقى حاضراً في المشهد الثقافي العربي روائياً ومفكراً وناقداً.

إنه ونجيب محفوظ ركنا التأسيس للرواية العربية التي استطاعت فيما بعد أن تجد مكانا لها في المشهد الإبداعي العربي.

كاتب الفرح

عن الشاعر والرسام

الكتاب السوري يتألق

سعيد تحسين إشراقة الفن

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

معرض

حافظ أنمار تقلا من مدينة طرطوس على نشاطه الفني رغم عمله كطبيب أسرة وضيق وقته، متميزاً في الرسم وكتابة الخط وصنع المجسمات من المخلفات الطبية.

وخلال لقاء معه، قال تقلا: موهبتي بدأت منذ الصغر لكن لم أهتم بها خلال فترة الدراسة في المدارس، وبعد المرحلة الجامعية أيقظت موهبتي الدفينة معتمداً على التطوير الذاتي، ومن خلال المتابعة تمكنت من الرسم وإبراز موهبتي.

وأضاف إنه عندما يرى مشهداً جميلاً يرسمه على القماش مستخدماً أقلام الرصاص والرمل الملون والبحري الذي يحتاج إلى دقة ووقت أطول، والألوان الخشبية والزيتية، ومبيناً أنه يعتمد في الرسم على الفطرة في مزج الألوان للحصول على اللون الذي يريدها فهو يستخدم الألوان بطريقة تخدم اللوحة التي تأخذ قرابة الشهرين من الوقت وسطياً لإنجازها.

وأشار تقلا إلى أن الفن من مهمته أن ينشر التفاؤل فلوحاته تضج بالحياة والألوان التي تنشر البهجة، مبيناً أن المرأة تشكل الموضوع الرئيسي في لوحاته، ويحب أن يقدّمها بشكل محترم ومفرح، وأن أكثر ما تأثر به هو المدرسة الكلاسيكية والانطباعية وبالرسام محمود فرشجيان الرائد في رسم المنمنمات الفارسية «المنياتور».

وبيّن تقلا أنه يروج لأعماله الفنية من خلال مواقع وسائل التواصل الاجتماعي، ومن خلال مرسم أخيه، ويعتبر الرسم هواية وحرفة، ولكنّه كهواية أقرب إليه لأن فيها متعة وإبداعاً، مؤكداً أنه يطمح للأفضل دائماً وهدفه الوصول للعالمية، كما أنه شارك بمعارض فردية في طرطوس ودمشق.

إضافة إلى الرسم يجيد تقلا كتابة الخط الكوفي بالدرجة الأولى، ويعتبره من أجمل الخطوط، إضافة إلى الفارسي والديواني، مستخدماً أقلاماً حبرية خاصة بطريقة البخ على الزجاج، وأيضاً من خلال الضرب بالرمل، كما أنه يتقن حفر الخط العربي على الرخام.

وربط تقلا بين مهنته كطبيب وبين الفن، حيث استفاد من المخلفات الطبية وقام بإعادة تدويرها في صنع المجسمات فبنى برجاً من عبوات الأنسولين الفارغة، وصنع بيتاً من الخافضات، وبدأ بإدخال المخلفات الطبيعية والصناعية مثل الأقمشة والأسلاك والقصدير في عمله، وفق ما ذكر.

ويعتبر تقلا المنتسب إلى نقابة الفنانين التشكيليين منذ عام ٢٠٢٣ أن الموهبة بحاجة إلى صقل، والذي ساعده على صقلها دراسته للطب التي جعلته يستوعب ما يصنع من دون مساعدة، وينمي موهبته ويستغلها في الرسم.

الكتاب السوري يتألق في معرض مينسك الدولي للكتاب

شهد الجناح السوري المشارك في فعاليات الدورة الـ ٣١ لمعرض مينسك الدولي الذي اختتم فعالياته منذ عدة أيام اهتمامًا رسميًا وشعبيًا واسعًا، حيث زاره عدد من السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدين في مينسك، إلى جانب عدد كبير من المواطنين البيلاروس، وحظي بتغطية كبيرة من وسائل الإعلام البيلاروسية.

وعرضت بالجناح السوري ممثلاً بالسفارة السورية في مينسك مجموعة من الكتب الأدبية التي اختارتها وزارة الثقافة إلى جانب عدد من المنشورات والبروشورات والأقراص الليزرية الثقافية والسياحية باللغتين العربية والروسية، إضافةً إلى صور وصناعات وألبسة تقليدية تعبر عن تاريخ سورية وحضارتها.

وأعرب كل من وزير الإعلام البيلاروسي فلاديمير بيرتسوف، ونائب مدير الإدارة الرئاسية مكسيم ريجينكوف، ونائب وزير الخارجية البيلاروسي إيغور نازاروك، خلال زياراتهم للجناح السوري المقام في «الحي الدولي» في المعرض عن إعجابهم بتاريخ وحضارة سورية، مقدمين الشكر للسفارة على مشاركتها الدائمة في المعرض.

كما أكد الوزراء البيلاروس خلال لقاءاتهم مع السفير السوري في بيلاروس محمد العمراني عمق العلاقات السورية البيلاروسية.

يشار إلى أن معرض مينسك الدولي للكتاب افتتح في العاصمة البيلاروسية مينسك في الـ ١٤ من الشهر الجاري تحت شعاري (عالم كتب بلا حدود)، و(الشراكة من أجل المستقبل).

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

بادر سيف
ثائر زين الدين
خالد الحاج عثمان
عمار النعمه
علم عبد اللطيف
سهير زغبور
سلام الفاضل
منى حبابة
محمد خالد الخضر
ميساء زيدان
نداء الدروبي
نرجس عمران

عن الشاعروالفن التشكيلي «صقر عليشي»

د. ثائر زين الدين

استلهمت النصوص الشعريّة منذ زمن بعيد لوحةً معيّنةً أو تمثالاً أو حتى فنّاناً تشكيليّاً بعينه ، لكنّ بعضها استلهمَ الفنَ عموماً أو الرسمَ بصفته موضوعاً للقصيدة؛ كما نجدُ في قصيدة عنوانها :» كيف تتعلّم الرسم»، للشاعر القرغيزي/ السوفييتي بولات أكودجافا (١٩٢٤-١٩٩٧):

« إذا أردت أن تصبح مصوّراً فلا تستعجل الرسم.
ضع الريش المختلفة المصنوعة من شعر الغرير أمامك.
خذ اللون الأبيض؛ لأن الأبيض هو البداية،
خذ بعد ذلك الأصفر؛ لأن كل شيء ينضج !
ثم خذ اللون الرمادي، كي يلتمع الخريف في السماء بلون الرصاص
ثم خذ اللون الأسود ؛لأن لكل بداية نهاية !
بعد ذلك خذ اللون الليلكي وبكرم اضحك وابكِ،
ثم خذ الأزرق؛ ليحطّ مساء العصافير على يدك،
بعدها خذ اللون الأحمر، كي تبدأ الشعلة بالخفقان،
وعليك بعد ذلك بالأخضر، كي يبعث الغصن النار في الأحمر
بعد ذلك اخلط تلك الألوان في قلبك
كما لو أنها الشهوة
ثم امزج تلك الألوان والقلب مع السماء،
مع الأرض، وبعدها...

الأهم من ذلك – أن تحترق، وتلتهب
دون أن تأسف لذلك.
قد تجد من يحاكمك في البداية
لكنّه لن ينساك
بعد ذلك !»

وكما لا يخفى على كثيرين يُقدّمُ الشاعرُ في هذه القصيدة رؤيتهُ للألوان، لمدلولاتها، كيف يراها، وكيفَ يُحسُّ بها، وكيف ينبغي للرسام أن يتعامل معها، كيفَ عليه أن يمزجها ليجعلها تُعبّرُعن خلجات نفسه، والرسامُ هنا ليس بالضرورة أن يكون الفنان نفسه، بل هو يمثّل صورة الإنسان الحقيقي الذي عليه أن يتعامل مع الأشياء والظواهرمن حوله بثقة وثبات وعليه أن يلتهبَ ويحترقَ خلال ذلك دون أن يشعر بأسف على أي شيء، وقد يجد من يحاكمه في البداية، وقد يسعى لإدانته، لكنّ حتّى هذا الشخص لن يستطيعَ إلا أن يحترمه وإلا أن يتذكرَه، فلا ينساه فيما بعد.

ومن القصائد التي تستلهم موضوعَ فن الرسم أيضاً قصيدةٌ طريفةٌ تحملُ عنوان « في فن الرسم»، للشاعر السوري صقر عليشي، وتقعُ في مقطعين كبيرين، عنوان الأول «في رسم بقرة» ، والثاني «في رسم نمر» ، لنقرأ الأول منهما:

«قلت لنفسي:
أسهل لو نرسمها في المرعى
وهي تقضّ الأعشاب الغضّة.
هذا يعطي اللوحةَ نضرتها
وتلائم فيما لو علقها أحدٌ ما
يوماً في الصالون،
فلونُ العشب يريح الجدرانْ
× × ×
إن مرّت في الأفق غيومٌ
سأثبّتُها
لن تجتازَ سماءَ اللوحة
ما أمكنني،
ولأجل الشمس سأترك دائرةً
في الأعلى
أملؤها بعصير الليمون الطّازَج،
ضوء الليمون لديه سطوع
لا يُخفى
ولديه علاقته الودّية بالألوانْ
× × ×
ولْنأخذْ حيطتَنَا....
لو يصدرُ أيّ خوار
يهتزّ فضاءُ اللوحةِ إذاكَ....
ويجفل منه الوقواق الواقف
في أعلى شجر الحورْ
نذراً...
لو هدأتْ
سأزيدُ جمالاً في لفتتها
وأحط لها حزناً في العينين
بعيدَ الغورْ
سأبين لها في الوجه ملامحَ
في الطيبة
لا تبدو في الإنسانْ
× × ×
فيما نرسم نحنُ
امتلأ الضّرْعُ
وراحَ حليبٌ ينسابُ
ويُرجعُ لوحتنا بيضاءَ....
كأنْ
ما منْ شيءٍ كانْ.
× × ×

في هذا النص الطريف الذي يتقمّصُ الشاعرُ فيه رساماً نجدُ أنفسنا أمام لوحة ريفيّة، هي منظر طبيعي يوزّعُ الفنان فيه العناصر والكتل بصورة بسيطة، ويستلهمُ ألوان الطبيعة نفسها؛ فيلوّن بها البقرة، والأعشاب، والأشجار، والشمس وضوءها، ويسبغُ على الكائن الحيّ في اللوحة (البقرة) صفات إنسانيّة، فيجعل عينيها تشفان عن حزنٍ دفين، لا يكون عادة لبنات جنسها، وقد يمنحُها من الطيبة أكثر مما نجدهُ عند الإنسان، ويستمرُ الشاعرُ/ الرسامُ في العمل على لوحته، حتى تلك اللحظة التي يفاجئنا فيها (وقد أوهمنا أنّه هو نفسه قد فوجئَ أيضا) أن الحليبَ راحَ يسيلُ من ضروع البقرة ويغمرَ اللوحة، فيعيدُها من جديد إلى البياض.

وسيعمل الشاعرُ في رسم لوحته الثانية بالطريقة نفسها.

لكن الاستلهام الأرقى للفن يحدثُ عندما يتعامل الشاعرُ مع نصّه بروح الفنان التشكيلي وعمق رؤياه، وطريقته في النظر إلى الطبيعة.

هنا يطمحُ الشاعرُ إلى التعامل مع قصيدته أو مع الورقة البيضاء التي سيكتب عليها كما يتعاملُ الفنان التشكيلي مع لوحته؛ مع قطعة القماش التي سيرسُمُ عليها عمله الفني، أو بعبارة أخرى يسعى الشاعر للتعامل مع القصيدة برؤيا الفنان التشكيلي وبفهمه لكيفية بناء العمل من استخدام للون ومهارة في وضعه على السطح المستوي أمامه، لوناً خاماً.... أو معالجاً أو ممزوجا.... إلى توزيع الكتل عليه، إلى الخطوط وانسيابها وتهاديها في العمل أو تكسّرها ونزقها أو تقطّعها أو غيابها أو... أو... إلى المنظور وزوايا الرؤيا... إلى غير ذلك...

وهنا تتجلى – برأيي أعلى مراتب التراسُل بين الفن التشكيلي والشعر؛ أي عندما يتمكنّ الشعرُمن استرفاد وتوظيف ما يستطيع من تقانات الفن التشكيلي وأساليبه وأدواته، وستجدُ من الشعراء من تمكن من تحقيق شيء من هذا لأنه صاحب موهبة عالية وذائقة سامية، دون معرفة أكاديميّة أو مدرسيّة بالفن التشكيلي، وقد نلمسُ نجاحاً في ذلك ونرى خلفه معرفة عميقة بأصول الفن التشكيلي وعلومه وأوّلها علم الألوان... وقبل أن أمثّل لرأيي هذا بنماذج من الشعر العالمي والعربي المعاصر، لا بأس من العودة قليلا إلى بضعة نماذج من الشعر العربي القديم في المشرق وفي الأندلس، لابدّ أنّها مهّدت لهذا الشكل الراقي من أشكال التّراسل بين الفن التشكيلي والشعر. أما النموذجُ المشرقيُ فهو قصيدةُ أبي تمّام (٨٠٣-٨٤٥) م، التي أختارُ منها الأبيات الآتية :

رقّت حواشي الدهر فهي تمرمرُ ... وغدا الثرى في حليه يتكسّرُ
نزلت مقدّمةُ المصيف حميدةً ... ويدُ الشتاء جديدةٌ لا تُكفرُ
لولا الذي غرسَ الشتاءَ بكفّه ... لاقى المصيف هشائماً لا تُثمرُ
مطرٌ يذوبُ الصحو منه وبعدَهُ ... صحوٌ يكادُ من الغُضارة يُمطرُ
غيثان فالأنواءُ غيثٌ ظاهرٌ ... لكَ وجهُهُ والصحو غيثٌ مُضمَرُ
وندىً إذا ادّهنت به لمم الثرى ... خلتَ السحابَ أتاهُ وهو مُعَذّرُ
يا صاحبيّ تقصّيا نظريكما ... تريا وجوهَ الأرض كيفَ تَصوّرُ
تريا نهاراً مُشمساً قد شابهُ ... زهرُ الرُبا فكأنّما هومُقمرُ
دنيا معاشٌ للورى حتى إذا ... حلّ الربيعُ كأنّما هي منظرُ
أضحت تصوغُ بطونها لظهورها ... نوراً تكادُله القلوبُ تَنوّرُ
من كلّ زاهرةٍ ترقرَقَ بالندى ... فكأنّها عينٌ إليكَ تحدّرُ
تبدو ويحجبها الجميمُ كأنّها ... عذراءُ تبدو تارةً وتَخَفّرُ
حتى غدتْ وهداتُها ونجادُها ... فئتين في خُلعِ الربيعِ تبخترُ
مُصفرّةٌ مُحمرّةٌ فكأنّها ... عُصَبٌ تَيمّنَ في الوغى وتَمَصّرُ
من فاقعٍ غَضّ النبات كأنّهُ ... دُرٌ يُشقّقُ بعدُ ثمّ يُزعفرُ
أو ساطعٍ في حُمرةٍ فكأنّ ما ... يدنو إليه من الهواءِ مُعَصفرُ
صُنعُ الذي لولا بدائعُ صُنعِه ... ما عادَ أصفرَ بعد ما هو أخضرُ

لن أبالغ لو قلت :إن القصيدة لوحة فنيّة باهرة في وصف الطبيعة وتبدّلاتها من فصل إلى آخر، بدءاً من البيت الأول الذي يقدّم لنا تبدّل الزمن من الخشونة إلى النعومة، مروراً بالأبيات التي تصفُ فصل الشتاء ونِعمه الوافرة على الطبيعة والبشر، ثمّ الأبيات التي ترسمُ – كما لو كانت ريشةَ فنانٍ واقعيّ ماهر– تحوّلات الأرض والهواء على يدي الربيع؛ ولاسيما صورة المطر الربيعي والصحو وتعاقبهما، وتبادلهما الأدوار، ثمّ يُدهشنا هذا الشاعرُ الملوّن حينَ يصفُ النباتات والأزهار وسقوط الضوء والندى عليها ومنظر الوهاد والأنجاد وقد كستها تلك النباتات بألوانها، وتبدّل تلك الألوان بتأثيرأوقات اليوم نفسه ثمّ تتالي الأيام، كلّ ذلك باستخدام لغة مجازيّة استعاريّة خلّابة؛ ما يحتاجُ إلى دراسة مُتأنّية واسعة.

وفي كثيرمن النماذج الشعريّة الأندلسيّة نرى الشاعرَ رسّاماً ماهراً في استخدام الألوان ضمن قصيدته اللوحة؛ بتأثير بيئة خلابة وحس تشكيلي عفوي لافت، لكنه على الأغلب يظل وصّافاً ماهراً، مبدعاً في بسط الألوان على لوحة القصيدة، دون أن يتجاوز ذلك إلى جماليات أرقى وأسمى؛ كأن نقرأ لابن خفاجة في وصف نهر :

متعطّفٌ مثل السوارِ كأنّهُ ... – والزهرُ يكنُفُه – مَجرُ سماءِ
قدْرقّ حتى ظُنّ قرصاً مُفْرَغاً ... من فضّة في بردة خضراءِ
وغدتْ تحفُّ به الغصونُ كأنها ... هدبٌ تحفُّ بمقلةٍ زرقاءِ

ولا بدّ أن تجربة شعراء الأندلس عموماً قد أثّرت في بعض الشعراء الذين جاؤوا بعدهم وأفادت الأذكياء منهم فطوّروها...

على رأس هؤلاء الشعراء فريدريكو غارثيا لوركا الوريث الشرعي لهؤلاء الشعراء الرسّامين، وكان لوركا رسّاماً وقد قال عنهُ ذات يوم سلفادوردالي الذي عرفه وهو شاب في العشرين:» ليس لدى لوركا صورة شعرية تبدو خالية من لون مرتعش»، ولا ريب أن وراءَ عشق لوركا للألوان واستخدامها في الشعر هو ذلك الكم غير القليل من مشاهد ذكريات طفولته المبكرّة، وهو المولود بالقرب من مدينة غرناطة القديمة؛ حيثُ « تتضاعفُ فيها ألوان الموشور وتتعدّد كما تتضاعف فوق جوهرة متعددة الوجوه» ، بالإضافة إلى ما حملته ذاكرته من تجواله وإقامته في مدريد وفي الجنوب الإسباني، وقد ذكر الشاعرُ « الميدة عند الغروب والياسين والحمراء وجنة العريف والنباتات الأندلسية تنسجُ بساطاً فارسياً عزّ نظيرُهُ، ويحط عليه برفق وإشفاق (نهر دارو) كما لو كان سيفاً» .

وجراءَ ذلك على الأرجح رأينا الشاعر يتمكنّ من استلهام ألوان غرناطة بصورة رائعة تذكّر بشعراء الأندلس العرب. يقول الناقد لويس باروت: « استخدم لوركا في البداية نظاماً أصيلاً للألوان الأساسيّة لرسم الجبال المجاورة: أخضر بحري شاحب، بني خفيف، أحمر، بني غامق؛ تخرجُ منها تدريجيّاً الإيقاعات الجديدة المحجبة مغمورةً بالألوان الأرجوانيّة. واستعمل لوركا سُلّماً ثانياً للألوان لاستدعاء المدينة بواجهاتها المتعددة، أرجواني تفّاحي، أخضر، وردي مبيض، نرجسي أساسي؛ وهذه كما يقول هي ألوان الملابس الساتانيّة الداخليّة التي ترتديها نساء غرناطة، وهي أزهار قصر الحمراء، الياسمين والآس وأشجار الفستق والغار، ومشاتل الورد، وأخيراً :يعمد إلى سُلم لوني آخر أكثر رقةً ونعومةً، فعندما يقبل المساء فإنه يكسو القرى والجبال رداءً حريريّاً مُشرباً بالفضّة مع كلّ بريق اللؤلؤ (ألوان الصقيع)، والقرنفل، والأوبال، واللؤلؤ القديم، والزفير، والعقيق إلى غير ذلك من الدقائق اللونيّة التي كان على لوركا أن يكتشفها ويعيد اكتشافها في ذاكرته والتي اعتمدَ عليها فيما بعد في رسم أجواء وبيئات قصائده الغجريّة».

كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين

عمار النعمة

نجزم بأن من جالس الأديب الراحل حنا مينه يوماً سيدرك تمامًا بأنه أمام قامة أدبية لامثيل لها، فأديب البحر كما أسماه البعض كان حضوره آخذاً في كل مكان على هذه البسيطة، فهو الأديب الواقعي، والجريء، الشديد في الالتصاق بقضايا مجتمعه، الحاضر في أعماله التي لاتمحى من الذاكرة.

ولد مينه في مدينة اللاذقية سنة ١٩٢٤، أي في زمن الانتداب الفرنسي على سورية، اضطرته الظروف أن يعمل في مهن شاقة حتى يضمن عيشه، فاشتغل حمالاً وبحاراً ومربياً وحلاقاً قبل أن ينتهي به المطاف روائيًا وموظفًا حكوميًا... لكن هذه المصاعب التي عاشها مينه نهل منها الكثير الكثير فكان أدبه قريبًا من هموم الناس، صوّر الواقع بحرفية عالية لدرجة جعلت القارىء يعيش مع كتاباته لسنوات وسنوات، ساهم مينه بصورة كبيرة في تأسيس رابطة الكتاب السوريين سنة ١٩٥١، وبعد سنوات قليلة، وفي سنة ١٩٥٦ تحديدًا، قاد هذا «الائتلاف الأدبي» فتكللت جهوده بتأسيس اتحاد الكتاب العرب حتى يكون بمثابة منصة لمثقفي المشرق والمغرب.. ربما كنت محظوظاً أنني منذ سنوات زرته في منزله الكائن بحي مساكن برزة، فما كان في مخيلتي عن هذا الرجل قد أصبح حقيقة عندما قابلته وحاورته لاسيما وهو الذي تربينا على اسمه ورواياته المسكونة باللغة الجميلة، والسرد السلس، والثقافة العالية، والأجمل عندما بدأ أمامنا يسترجع بعض الصور من الذاكرة المترعة بعذابات الفقر والرحيل ومواجهة الأقدار.. آنذاك عندما سألته عن البحر قال لي: «إن البحر كان دائماً مصدر إلهامي، حتى إن معظم أعمالي مبللة بمياه موجه الصاخب».. وأضاف واصفاً نفسه بـ أنه «كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين، فالكفاح له فرحه، له سعادته، له لذته القصوى، عندما تعرف أنك تمنح حياتك فداء لحيوات الآخرين، الذين قد لا تعرف لبعضهم وجهاً، لكنك تؤمن في أعماقك، أن إنقاذهم من براثن الخوف والمرض والجوع والذل، جدير بأن يضحى في سبيلهم».

بلا شك أن حنا مينه أحد أهم الروائيين في سورية والعالم العربي، ترك خلفه ما يزيد على ٤٠ رواية، ومجموعة قصصية، ليساهم بتشكيل ملامح الرواية السورية على مدى نصف قرن من الزمن، نال فيها جوائز أدبية عديدة داخل سورية وخارجها، في ذكرى ولادته المئوية لايمكن أن نحتفي دون الرجوع إلى ذكرياتنا مع رواياته، فكيف لنا أن ننسى رواية الشراع والعاصفة التي تجري أحداثها في ظل مناخات الحرب العالمية الثانية والتي دارت حول المعاناة الحياتية لفئات اجتماعية مختلفة من أبرزها هموم عمال البحر في مرافئ اللاذقية، وكيف لانستحضر معاً رواية نهاية رجل شجاع التي تحولت إلى عمل درامي تلفزيوني حقق حضوراً لامثيل له في تاريخ الدراما فصوّر لنا شخصية (مفيد) للدلالة على تناقضات النفس البشرية، والصراع بين الخير والشر داخلها، ومفيد ليس إلا مثالًا أراد مينه أن يوصلَ من خلاله رأيه حول هذا الصراع الذي يمثّل بدوره طبيعة من طبائع البشر، أيضاً رواية «المستنقع» التي تغوص في الريف، الفقر، السياسة الفاسدة، وما أحوجنا اليوم لهذا الوصف والتوصيف والسرد والجمال، في رحاب الذكرى يحق لنا أن نقول أن سورية ولادة وقد أنجبت الكثير من المبدعين، لكن حنا مينه هو الأيقونة التي رُسمت في مخيلتنا من خلال رواياته التي لم تتوقف حدودها داخل الوطن وإنما ترجمت رواياته إلى لغات أخرى مثل الروسية وغيرها.

بقعة حبر

بحّار الأدب

رنا بدري سلوم

«الكتابة عند حنّا مينا اللّذة الكُبرى والرّذيلة الكُبرى، ولا خلاص منهما إلا بالموت»، رحل شيخ الرّواية العربية بعد أن تلذّذ بالكتابة، فترك مصابيحه الروائيّة مضاءة بيننا، تصف بشريّتنا، نصف الوحش ونصف الإنسان القابع فينا كما في روايته «الياطر»، فبدأ من فتى الميناء الذي يبحث عن لقمة العيش، حتى انتهى به المطاف إلى كاتب مخضرم ينسج أسرار البحر حكايات تزيّن الأدب العربي الحديث، ولاسيما أنه ابن البحر، فكتب بعمق ما عاشه بعمق من معاناة وألم ومخاطر، فكما قال في أحد لقاءاته «حدّقت بالموت مراراً وبعيون باردة، فلا نستطيع أن نكتب عن شيء لا نعرفه، وبالتالي خلاصة تجربته في حياته أن «لا نخاف الحياة».

لم يفكّر حنّا مينا يوماً أن يكون كاتباً، الكاتب له مقومات وفقاً له، فلعب الحظ لعبته، موظفاً المهن التي امتهنها في رواياته فأبدع حد التفرّد، كان صوت الفقراء والمساكين مُظهراً في قصصه الصّراع الطبقي والظّواهر الاجتماعية في قاع المدينة كالاستغلال والجشع واضطهاد المرأة وغيرها من القضايا الإنسانيّة باسلوب سردي شيّق يحمل الكثيرمن الواقعية، إضافة إلى وصفه بيئة البحّارة واصطياد الحيتان ومغامرات القراصنة ورحلات المكتشفين والتّجار وغيرها الكثير، فكان البحر مصدر إلهام الغائب الحاضر حنّا مينا، حتى إن معظم أعماله كانت مبلّلة بمياه موجه الصاخب الذي فتح الطّريق للكثير من الكتّاب الجّدد الإبحار في أدب البحر الشّيّق والممتع والذي رسّخه مينا في ذاكرة الأدب العربي .

خطورة المصطلح الآخر

محمد خالد الخضر

دائماً تشغل الجملة في اللغة العربية الجمال الأكثرأهمية في لغات العالم ،ويصعب على كلّ المبدعين الذي يتعاطون الأدب والثقافة في العالم تقليد أي جنس أدبي وترجمته في ذات التركيبات ،ونفس الشكل البهي .

وإذا عدنا إلى الماضي وجدنا في ملفاته ما لا يمكن أن يكون مثله في الحاضر .. وهذا ينطبق في مجال الشعر وهم كثيرون في كلّ العصورالتي سبق عصور الحداثة وإذا قرأنا بيت شعر المتنبي إلى سيف الدولة الحمداني :

يهز الجيش حولك جانحيه
كما نفضت جناحيها العقاب

يمكن أن نتخيل هذه الصورة الخارقة في الجمال نجد من الصعب تقليدها أوإعادة تشكيلها أو ترجمتها وبذلك تتخرب منظومة القصيدة وتركيبها الفني، ولاسيما أن النص جاء على موهبة ساهمت النغمة الموسيقية بجماله ولا تتحمل هذه النغمة التي اختير لها البحر الوافر وتفعيلاته مناسبا للقوة والمحبة والتوصيف الفني ،وتحت أي تحريك ثقافي تتحطم الموسيقا .. وغير ذلك فخطب قس بن ساعدة الإيادي وما أتى به الإمام -علي كرم الله وجهه- وما كتبه الأدباء في العصور اللاحقة من نقد وأدب وقصص وروايات وحكايات وغير ذلك .

وبعد السعي لتخريب منظومة الشعر وصناعة أشكال أخرى تهمل الموهبة وتسعى إلى تهشيمها مثل تكوين عبارات لامعنى لها وتشكيلات وهمية لا يقبلها العقل ولا العاطفة .. ما جعل شعبية الشعر تنفر،وتلا ذلك توريط اللغة بأغلاط شائعة مثل تعريف النكرة ،واستخدام ال التعريف بمكانها فأصبح أدعياء النقد والأدب يدخلونها على سبيل المثال إلى كلّ وبعض ويستمع إليها كثيرون على المنابر،وليس هذا فحسب تمدد آخرون إلى ورطات أكثر وجعاً فجميع أهل اللغة يستخدمون الآن أحفاد بدلاً من حفداء وغير ذلك .

وتمادى أدعياء آخرون بشكل غير مقبول ،وصارت المصطلحات النقدية تكتب كعناوين إلى الكتب والمؤلفات تغطية لعيوبها وضعفها على أن المؤلف يكون أكثر ثقافة عندما يقول : (أنطولوجيا العبارة وميثولوجيا وسيكولوجيه) فماذا يضر إذا كان طريقه نظيفاً وقال :

علم النفس والإنسان المقهور أو غير ذلك لكانت أشرف وأجمل ... والقادم أخطر إن لم نتأهب وندافع عن مكانة لغتنا ووجودنا .

وتر الكلام

«حنا مينا» كيف أبحر سينمائيًا...؟

سعاد زاهر

حين ترتبط الصورة بفلسفة روائية حينها يصبح لها معان تقربنا من مشروعية تفكير مغاير في الصورة السينمائية على وجه الخصوص، لعل أبرز التجارب التي جمعت بين السينما والرواية، النموذج الذي اقتبس من أعمال الروائي «حنا مينا».

رغم التقارب بين العالمين، إلا الاقتباس من الرواية إلى السينما يعاني من إشكاليات عدة تتعلق بنقل الكلمة إلى لغة مرئية، وقد يضطر إلى خيانة النص الروائي، فهل فعلوا من روايات حنا مينا...؟

الروائي الذي تنقل بين مهن شتى فقد عمل حلاقاً وحمالًا وبحارًا ...أثرت البيئة الواقعية والساحلية في أعماله ففي «الشمس في يوم غائم» الذي أنتج ١٩٨٥ من إخراج محمد شاهين، تناول حكاية عادل الأرستقراطي الذي يغادر بيئته لينزل إلى قاع المجتمع ويتعرف على الحرمان، ويعيش صراعًا بين ميراثه وأصوله الارستقراطية وثقافته.

في «فيلم بقايا صور» الذي أنتج عام ١٩٧٩، يحكي عن أسرة «أبو سالم» التي تحيا حياة بائسة للغاية في عشرينيات القرن الماضي.

البحر لم يكن بمنأى عن خيارات السينمائيين كما فعل المخرج محمد شاهين في فيلم» آه يابحر» من إنتاج عام ١٩٩٤، رواية «الدقل» يحكي عن أسرة البحار «صالح حزوم» من لواء اسكندرون إلى اللاذقية ومحاولة البحث عنه، إذ يحاول ابنه سعيد اقتفاء أثره بعد أن انطلقت أكثر من إشاعة عن سبب اختفائه، ويقرر أن يصبح بحارًا مثل أبيه...

أيضًا حضر البحر في فيلم «الشراع والعاصفة «من إنتاج ٢٠١١ وهو من إخراج غسان شميط، ويحكي الفيلم قصة بحارة في مدينة طرطوس الساحلية، في فترة الاحتلال الفرنسي والحرب العالمية الثانية، وما يعيشونه من تناقضات...

لا شك أن المخرجين الذين اقتبسوا من أعمال حنا مينا، أجبرتهم لغته الروائية وبيئة العمل التي اشتغل عليها، إلى إخلاص للعمل الروائي قد لا يشعر به المشاهد، إلا حين يقرأ روايات مينا ويقارن ليكتشف أن الفلسفة الروائية التي اعتنقها تبقى خالدة.

بحّار الرواية السورية في عيون المبدعين

خالد حاج عثمان

حنا مينه، روائي سوري ولد في مدينة اللاذقية.. ساهم في تأسيس رابطة الكتاب السوريين واتحاد الكتاب العرب.. ويُعد أحد كبار كتاب الرواية العربية.

حنا مينا أديب البحر والواقعية..

هكذا أرادت الأديبة الروائية والقاصة وعضو اتحاد الكتاب العرب(ملك حاج عبيد) عنونة شهادتها في مينه مضيفة:

لعل الكاتب العربي الوحيد الذي كتب عن البحر وحياة البحارة هو حنا مينه فمن بين مايقرب الأربعين رواية التي كتبها كان للبحر النصيب الأكبر منها منذ روايته الأولى «الشراع والعاصفة « إلى « ثلاثية البحر» فقد عمل في بداية حياته حمالاً في الميناء وبحارًا على مركب فخبر عن قرب حياة البحارة ومغامراتهم.

السمة الثانية في أدب مينه هي الواقعية فمينه ينحدر من عائلة فقيرة لذلك لم يتمكن من متابعة تعليمه واضطرللعمل في سن مبكرة ليعيل نفسه ويساعد أسرته فتنقل بين أعمال مختلفة حمال ..حلاق ..بائع جرائد فاكتسب معرفة بأنماط مختلفة من الناس وجاءت شخصياته واقعية لها وجودها الحقيقي في مجتمع اللاذقية المدينة التي ولد فيها وعاش فيها الشطر الأكبر من حياته قبل أن ينتقل إلى العمل الصحفي في دمشق وقد غطت رواياته مساحة زمنية طويلة بدءًا من الاحتلال الفرنسي لسورية ومقاومته إلى مابعد الاستقلال، وقد ركز في كتاباته على الطبقة المسحوقة فتبنى مطالبهم ووقف إلى جانب نضالهم من أجل حياة كريمة من خلال مطالب حياتية عفوية أو نقابية أو من خلال عمل حزبي كما في « الثلج يأتي من النافذة «.

كما تبدت سيرته الذاتية الجارحة وطفولته المعذبة في«بقايا صور « و«المستنقع « وكان للمرأة دور هام في كتاباته فهي الأم والزوجة والعشيقة والمثال ولعل الليلة التي قضتها الأم في رواية « المستنقع « قبل أن تسلم ابنتها لتعمل خادمة من أجمل المواقف وأكثرها تأثيرًا في السردية العربية.

لقرب مينه من القضايا الحياتية ولاتجاهه الإيديولوجي فقد حظي بجمهور قراء واسع في سورية وفي الوطن العربي وترجمت بعض أعماله إلى الإنجليزية والفرنسية والروسية والإيطالية.

نال مينه جائزة سلطان العويس عن مجمل أعماله وجائزة المجلس الأعلى للآداب والعلوم بدمشق عن روايته الشراع والعاصفة وجائزة المجلس الثقافي لجنوب إيطاليا عن نفس الرواية باعتبارها أفضل عمل مترجم إلى الإيطالية.

- الانحياز إلى الفقراء المعدمين والكادحين..وعنه تتابع الكاتبة (سلمى وديع اسمندر) شهادتها قائلة يعتبر

الكاتب حنا مينه من أهم القامات الأدبية المعاصرة، حيث تكمن تلك الأهمية في انحيازه الملحوظ لحياة العوز والفقر والمعاناة، التي تلامس قلوب الفقراء من جهة بما يجدونه من تشابه كبير بين حياتهم اليومية ومعاناتهم لتأمين لقمة العيش، وبين مايكتبه الروائي حنا مينه.

ففي روايته « نهاية رجل شجاع « التي كان بطلها مفيد، ذلك الرجل الذي تذوق المعاناة منذ نعومة أظافره، بعد صراع مع طفولته، ومعاناته في السجن، أصبح شخصاً آخر وتركت تلك الحوادث جرحاً واضحاً في نفسه، ولكنها جعلت منه رجلاً يفهم معنى الحياة، فرأى نفسه بعلاقة تربطه مع عمله الجديد صيد الأسماك، ومع زوجته لبيبة، محاولاً استقرار ذاته، لكن صراعه مع نزعة العنف التي تنتشر بداخله كالعفن، أعادته إلى السجن خمس سنوات، واضطر الأطباء لبتر ساقه بسبب السكري، وخرج رجلاً محطماً، مهزوزاً، فانتهى أمره بالانتحار بعد أن تيقّن أنه لا معنى لحياته.

يعبر الكاتب حنا مينه عن معاناة مفيد وغيره من الشخصيات في رواياته، كأنه هو بطلها، إحساس قلمه بالمعاناة يدل على خوضه لاحتكاك مباشر بينه وبين تلك النماذج من القهر والفقر بشكل عام، و احتكاك مع صيادي السمك بشكل خاص.

وعلى الرغم من المعاناة التي شعرت بها خلال قراءة أعماله، إلا أن مشاهدتها تتجسد على مسرح، كان أمراً أكثر تأثيراً، فكان مشروع تخرج طلاب جامعة المنارة السنة الماضية «موج عالي» والذي هو إعداد وتقديم عميد كلية الفنون المسرحية الدكتور سامر عمران يجسد أعمال الكاتب حنا مينه بشخصيات مختلفة، كل واحدة منها تتميز بطبع مختلف، وتسلك طريقاً آخر، إلا أن جميعهم يعانون بطريقةٍ ما، وتشعر بمعاناتهم من خلال لغة الجسد التي تعطي رونقاً خاصاً للنص.

ويكمن احترامي لهذا النوع من الكتابات، التي تقترب من الأفكار التي زرعها والدي بداخلي، فكتاباته كانت مرتبطة بكتابات حنا مينه، وكلاهما اتخذ البحر ملجأ ليفرغ عواطفه السلبية والإيجابية، ليعبر عنها بحالات ومواقف صادفتهم من خلال صداقة البحر والصيادين.

أظن أن أمثال والدي وديع أو الكاتب حنا مينه لا يموتون، فهم يبقون حاضرين من حينٍ إلى آخر في أذهان الصيادين والفقراء، وكلما تهب رياح اللبش، تترحم أمواج البحر على فقدانهم .

- حنا مينه عملاق الرواية السورية...هكذا وصف الطبيب والقاص والناقد د.زهير سعود المحتفى به ثم تابع شهادته بقوله:

شهد عيد الأضحى المبارك في العام /٢٠١٨ إقفال عيون كاتب روائي عالمي وعربي سوري، ليرتاح صاحبها بعد عمر ناهز التسعة عقود ونصف العقد من الزمن، تاركاً خلفه أكثر من أربعين عملاً روائياً وبضعة دراسات نقدية.. ولما كان من تصنيفاتنا النقدية للأعمال الروائية ما أطلقنا عليه بالأدب «الطبائعي» و«أدب المغامرات» و«الأدب الاجتماعي والواقعي والتاريخي والسياسي والنفسي» فإن غنى تجربة الروائي السوري «حنا مينه» كافية لتشغل كل تلك الجوانب التصنيفية في سرديات الكاتب القصصية، فحنا مينه هو كاتب الكفاح الإنساني والواقعية التي رسمت نهجها الخاص في صيغة الرواية العربية والسورية على وجه الخصوص، وهي رواية تمكنت من إنتاج عالم سردي إبداعي متماسك، أنتج قيماً أخلاقية عليا للإنسان، من خلال رسم بطولاته وعذاباته وكفاحه، في سبيل الحرية والحبّ والعدالة والمساواة.

وإن كانت معجزة العرب القدامى قد تمّ تحديدها بالشعر، فقد أعاضنا تراث حنا مينه من خلال مكتسبات أدبه الروائي عن أشعار العصور القديمة، ذلك بعد أن ساد زمن المنجز الروائي العالمي، فبرزت الرواية بديلاً شرعياً عن الشعر، وحق بعد ذلك لروايات مينه أن تنعت بديوان العرب للعصر الحديث.

عندما أذهب لدراسة أي شخصية إبداعية أولي اهتماماً خاصاً لظروف حياة الشخصية ومصدر اهتمامها وطموحها المعبّر عنه بتصريحات الشخصية حيناً وتلميحاتها حيناً آخر، فالمستنقع الذي غلّف نفسه بعمل روائي (تحوّل لعمل سينمائي أيضاً) هو الحيّ الذي ولد فيه المبدع، وهو حيّ من أحياء «لواء اسكندرون» حيث ترعرع عملاق الرواية السورية، وبدلاً من رحلة استنباط الشخصية التي أرادت رواية حنا مينه تقديمها فقد عثرنا على إقرار الكاتب بقوله: «كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين، فالكفاح له فرحهُ، له سعادته، له لذّته القصوى، عندما تعرف أنك تمنح حياتك فداء لحيوات الآخرين...». وقبل الحديث في عظمة بحر حنا مينه وياطره ومدى تأثير هذا الكائن الخرافي على الأدب الطبائعي في حياة رواية مينه فها هو يقول: «كان البحر دائماً مصدر إلهامي، حتى أن معظم أعمالي مبلّلة بمياه موجه الصاخب».. وهل يحق لنا المرور على تحف حنا مينه الخالدة دون ذكر المرأة التي رسم لها في أدبه معاناة كرّستها العلاقات الاستبدادية للإقطاع والرأسمالية، فأبرز كفاحها وتوقها للحرية وعنها قال: «لو خيروني بكتابة شاهد على قبري لقلت لهم اكتبوا هذه العبارة.. المرأة، البحر، وظمأ لم يرتوِ».. أما عن الفقر وبلاويه ولوعة مأساته التي أظهرتها أحداث روايات الكاتب فقد قال فيه: «كنت أعاني البطالة والغربة والفقر والجوع وأحسد الكلب لأن له مأوى.».

أعمال حنا مينه الأربعون شكلت ذخيرة ثرية للرواية العربية فيما احتضنته مجلداتها، بل وما أنتج للدراما والسينما والمشاهدات البصرية: المصابيح الزرق، الشراع والعاصفة، الياطر، الأبنوسة البيضاء، نهاية رجل شجاع، حكاية بحار، بقايا صور، الشمس في يوم غائم.. والكثير غير ذلك.

حنا مينه..

وإشارات سريعة على بعض رواياته..

الشاعرة(نرجس عمران): تدلي بشهادتها قائلة:

حنّا مينه هو روائيٌ سوريٌ ألّفَ العديد من الرِّوايات والدراسات الأدبيّة.. ومن أعماله:

١. المصابيح الزُّرق: تمثل هذه الرّوايّة أحد أعماله البارزة وتم تحويلها إلى مسلسل سوري.

٢. الشِّراع والعاصفة: روايّة أخرى مهمة له، وتم إنتاج فيلم سوري يحمل نفس الاسم عام ٢٠١١.

٣. الثلج يأتي من النافذة: روايّة أخرى ألّفها في عام ١٩٦٩.

٤. الشّمس في يوم غائم: رواية أخرى ألّفها حنا مينه وتم تحويلها إلى فيلم سوري.

٥. نهاية رجل شجاع وقد تم إنتاج مسلسل سوري يحمل ذات الاسم.

كان يركز حنّا مينه في أعماله على تصوير البحر والحياة بقربه، وتميزت أعماله بالواقعيّة.. كتب جميع أعماله بالعربيّة وتُرجم بعضها لعدة لغات.. حصدت أعماله جوائز عديدة، بما في ذلك:

١. جائزة سلطان العويس عن مجمل أعماله الأدبية.

٢. جائزة المجلس الأعلى للثّقافة والآداب والعلوم بدمشق: نالها عن روايته «الشّراع والعاصفة».

٣. جائزة المجلس الثّقافي لجنوب إيطاليا: حصلت على أفضل رواية ترجمت إلى الإيطالية عن روايته «الشّراع والعاصفة» في عام ١٩٩٣.

حنّا مينه كان له دور كبير في تطوير الأدب العربي، ورواياته تتميز بالواقعية والتفاصيل الاجتماعية.. إنّه رائدٌ في مجال الرّواية وتراث أدبنا العربي.

بالطبع! حنّا مينه، الروائي السُّوري، قد نال إعجاب العديد من الشّخصيات البّارزة في العالم العربي وهنا بعض الاقتباسات والمدح التي قيلت فيه :

١. الشّاعر نزار قباني: قال عن حنّا مينه: «حنا مينه هو الروائيّ الذي يكتب بالعربية الفصحى بأسلوب سهل وجذاب، ويحكي قصصًا تلامس قلوب القرّاء» .

٢. الأديب طه حسين: أشاد برواية «الشِّراع والعاصفة» لحنا مينه، واعتبرها من أهم الروايات العربية المعاصرة .

٣. الأديب غسان كنفاني: أثنى على أسلوب حنّا مينه في الكتابة وقال: «رواياته تأخذك إلى عالم آخر، وتجعلك تعيش مع شخصياته وتشعر بمشاعرهم».

سعيد تحسين وإشراقة الفن الأولى

نداء الدروبي

برزت في سورية بثلاثينات القرن الماضي أسماء مهمّة في الفن التشكيلي تُمثّل ذاكرة وطن.. كان من بينها الرسام الكبيرسعيد تحسين الذي أثرى تاريخنا بلوحاته وبمقوّمات الإبداع والحداثة والابتعاد عن الجمود والتكرار، في وقت انفتح فيه وطننا على تجارب عالمية وثقافات متعدّدة، فهل سعيد تحسين كان معينها دون أن ينسى انتماءه وجذوره وتاريخه الثّرالمعطاء؟ أنجز التشكيلي سعيد تحسين مئات الأعمال المنتشرة في أصقاع العالم، والمتميّزة بالأكاديمية والواقعية والتعبيرية والانطباعية، فبلغ عددها ٢٥٠٠ لوحة، رسماً ودراسةً، وكانت جميعها تُمثّل ذاكرة وطن لتاريخ صادق، ورؤية واضحة لآرائه وأفكاره، جعلته رائداً من روّاد الفن التشكّيلي الحديث في سورية. حيوية اللون وألق الخطوط: اهتمّت ريشة تحسين بالناس البسطاء والكادحين، فصوّرهم بعناية فائقة من زاوية أخلاقية سامية، مؤكّداً على الروابط المتينة للمجتمع السوري المحب والمخلص لبعضه البعض، كما اهتمّ بتعابير وانفعالات الأشخاص وملامح الوجوه وإيقاع الخطوط والألوان الموسيقية، طارحاً أعماله بجرأة وصراحة فهام في التفاصيل مع الولوج إلى أعماق الإنسان ورسم تعابير الوجوه وحركة الأجساد، سائراً إلى ما بعد الحداثة، وبالمقابل جسّد المحاربين بنبل وعظمة واقتداروقوّة، وشحن ريشته بالمحبّة والعمق تجاه شخصياتّه معطياً أعماله فخامةً كبيرة. كما اهتمّ برسم الزخارف ونوعية القماش وتفاصيل الأردية بأنواعها كافةً ؛ مبتعداً عن التسجيلية ليضيف الكثير من مشاعره وأحاسيسه ووعيه ورؤيته وفلسفته، وتقديسه للقيم النبيلة من نواحي الخيروالشر والبؤس في المجتمع، مازجاً حلمه وخياله وألوانه وخطوطه. فاتحة بداياته الفنية بدأها بتثقيف نفسه من الجوانب كافةً، واهتمّ بالموضوعات الشعبية والزخرفة الساذجة على قُطع القماش الحريرية ووجوه الأرائك المزيّنة بالورود أو بالطيور.. إلخ، وكان يزامل المصورين في سوق الحرير الدمشقي. تدفق المشاعر: لم تغب مدينة دمشق عن مخيلة الفنان سعيد؛ بل جسّدها في مجموعة من اللوحات، وجادت ريشته بتصوير تفاصيل بيوتها العامرة بالأشجار في فناء المنزل حيث الليمون والبرتقال والنارنج والكبّاد والورد الجوري، دون أن ينسى تصويرأعراسها في إيوان البيت وباحته، كذلك رسم مساجد دمشق وكل ركن فيها، إضافةً إلى إرثها الشعبي ونسائها المتّسمات بالوقاروالقوة والعطاء، ماسكاً زمام أدواته بخبرة واسعة وحرفيّة متقنة، فكان دائم الاطلاع والبحث وسبرالأمورعلى أهم مفاصل الفن التشكيلي والأحداث الوطنية والقومية والسياسية الدائرة في عصره. التشكيلي سعيد تحسين استلهم ثراء أفكاره من التاريخ العربي المُشرق وروعة الحضارة العربية والإسلامية الفنّيّة، مُنقّلاً بصره في كلّ ركن ودار ليقدّم نظرة فنية جمالية تتسم بشفافية ورومانسية تأسر الأبصار عبر اهتمامه بتجسيد كتل معمارية هندسية رائعة بتصميمها أنجزها بدراسة وخبرة وتمكُن ظهرت بقوة خطوط وألوان منسجمة ومتناغمة مفعمة بالحرارة، فبدت روحاً وثّابةً مُتألّقةً. الدمشقي البار بوطنه لم ينسَ في أعماله تصوير التراث الشعبي المتمثّل بالدبكة والمضافات في الريف الساحر، حتى اُعتُبر بحق مدرسةً في الإبداع، إذ غاص في أغوارالنفس الإنسانية، وتأثّر بآراء بعض الفنانين المصريين، مُنجزاً لوحات بعناوين مهمّة: (شهداء ٦ أيار، معركة ميسلون، العدوان الثلاثي على مصر ، مباحثات الوحدة بين البلدين، المجاعة في سورية أثناء الحرب العالمية الأولى)، فكان صادقاً في كلّ ما رسم، ما أعطى للفن التشكيلي مشاعر ذات ثقل وإيقاع عالٍ للخطوط والألوان المُتنفسّة بأوكسجين الحياة والحركة. المناظر الخلوية والطبيعة الصامتة: كما جسدّ الفنان سعيد تحسين المناظر الخلوية والطبيعة الصامتة المأخوذة من دمشق القديمة، ودخل إلى البيوت والمساجد ورسمها بمصداقية، مُركّزاً على حشود الأشخاص سواء في دورالعبادة، أم في المعارك، أم في الأعراس، واهتمّ في هذه الأعمال بأدقّ التفاصيل من ظلّ ونور ودراسة الخطوط والألوان وتدرجاتها، وأبرز في الوقت ذاته عناصر الانسجام والحركة وقوة الفكرة لدرجة أننا نشعر أثناء رؤية أعماله بالفرح أو بالحزن أو بالأسى والرهبة، وكان يتناول اللوحة من زاوية مفعمة بالشعور بالحدث إلى أقصى حد وكأنّه شريط سينمائي يمرُ أمام عيوننا.. ومهما توقّفنا عند اسم الفنان الكبير سعيد تحسين فلن نوفيه حقّه في الكتابة كونه رساماً استحقّ وسام الاستحقاق العربي السوري من الدرجة الأولى.

زاوية حادة..

الرواية وحروب السرديات

د.ج

إننا ونحن نحتفي بمرور قرن على ولادة ربان الرواية السورية وثاني أعمدة الرواية العربية مع نجيب محفوظ.

نستذكر قول (حنا مينة) :

الرواية ديوان العرب وبذلك قلب المعادلة من الشعر إلى السرد الذي احتل المكانة الرفيعة في المشهد الإبداعي.

والرواية تخوض اليوم معركة السرديات التي تجري في العالم كله ويقودها الإعلام..

كلّ يريد لسرديته أن تكون الأقوى والمنتشرة وتدعم مواقفه التي يعلنها .

الرواية ليست خارج هذه المعركة بل ربما يمكن القول انها صاحبة السلاح الأمضى والأقوى والإثبت في هذه المعركة .

وبغض النظر عن ضعف بعضها لكن لابدّ أن نصل إلى المكانة التي يجب أن تكون.

حنا مينه.. قالت أمي: يا ليت ابني كان راعياً

أعرف أنني أغامر بصحتي وبراحتي وسأدخل عالماً يجعلني أنزف حزناً لكنني سأكتب.. قال حنا مينه هذا قبل ثلاث سنوات وكان وقتها مازال يغامر بجسده وفرحه لأنه سيسكب طاقات جسده الإنساني كاملة في عملية الكتابة الروائية التي جسدت «الياطر» و«بقايا صور» واليوم حين نسأله عن الكتاب الثاني من كلا الروايتين، نعرف أنه مازال يعطي الحياة الروائية كل ما وهبته إياه الحياة من طاقات ونعرف أنه مازال في نزيفه الجسدي، لكن من يمكن أن ينصح «حنا مينه» بالكف عن النزيف والمغامرة بل هل يستطيع هو التوقف طالما أنه عندما يكتب يكون إنساناً يحيا: الواقع والحلم والعاطفة والمبدأ وهي الحياة الأشد تكاملاً والأكثر واقعية.

* في تصريح لمجلة الأسبوع العربي قلت إن أمنيتك أن تعتزل الكتابة وتسافر بحاراً على ظهر سفينة، فما الدافع لهذا النزوع؟ وهل ما زلت مصراً على اعتزال الكتابة؟.

– هذه الأمنية نوع من التفكير الرغبي، وكثيراً ما تنتابني في ساعات التعب، فأنا أتعب في الكتابة وأتساءل لماذا لم تستجب السماء لدعاء أمي؟.

* وما هو دعاؤها؟

– أن أكون راعياً كانت المرحومة تحسب أن ماصادفت في حياتي من مصاعب وما واجهت من ظروف كدخول السجن، وتحمل العذاب، والتشرد، مرده إلى أنها أرسلتني إلى المدرسة فتعلمت.. طبعاً كانت تعتقد أنني نلت من العلم الشيء الكثير، وهذا هو السبب في أنني أفكر وأكتب وأتشرد بسبب كتابتي وأفكاري، فتمر السنوات ولاتراني، لذلك كانت تضرب على صدرها وتقول: يا ليت ابني كان راعياً وظل إلى جانبي.

* إلى أي مرحلة وصلت في دراستك؟.

– لم أتجاوز المرحلة الإبتدائية وعندما كان الناس يذكرون شهادات أبنائهم كانت الوالدة تقول:«لاأدري لماذا لا يعلق حنا شهادته في البيت مثل غيره» كانت تحسب الشهادة الإبتدائية شهادة جامعية ورفضت أن تقتنع بغير ذلك.

* نعود إلى مسألة اعتزال الكتابة.. هل أنت جاد في ذلك؟

– ولماذا لا .. السياسي يعتزل ولاعب الكرة يعتزل فلماذا الكاتب لا يعتزل.. رامبو لعلك تذكرين ليس موقفاً لا يتكرر

* أنا أسألك أنت: هل تستطيع اعتزال الكتابة؟.

– جربت وفشلت اعتزمت قبل عام أن أحسم المسألة: لن أكتب بعد اليوم قلت.. لقد أصبت خلال السنوات الأخيرة بما يشبه هوس الكتابة، كنت لا أنام أحياناً وعلى خلاف عادتي شرعت في كتابة عدة أعمال دفعة واحدة رواياتي «الشمس في يوم غائم» و«الياطر» و«بقايا صور»، وكتابي عن ناظم حكمت وقضايا أدبية وفكرية وبعض قصصي القصيرة مثل الأبنوسة البيضاء، و«على الأكياس» بدأت بها كلها في وقت متقارب كنت أعمل كالمحموم وأسبق الزمن، وأكتب صفحات في هذه الرواية بعد الظهر وصفحات في تلك ليلاً.. وأخطط لمشاريع كبيرة وكثيرة ثم هيأت وصرت أنجز الأعمال واحداً واحداً، وأستطيع القول إنني في العام الماضي أنجزت كل شيء، صحيح أنني كتبت من الكتاب الأول من «الياطر» وتوقفت عن المتابعة لأشرع بالكتاب الأول من «بقايا صور» وصحيح أن القراء يسألون ويلحون في السؤال عن موعد صدور الكتاب الثاني من «الياطر» والكتاب الثاني من «بقايا صور» لكنني أهز كتفي ولا أبالي.. ربما لا أكتب الأجزاء الباقية، أفضل الآن لو أذهب بحاراً على ظهر سفينة، وقد بحثت في تحقيق هذه الرغبة لكنني لم أوفق.. ولم أفقد الأمل طبعاً، فالمدينة تفترس أعصابي.

* أفهم من ذلك أنك تريد أن تهرب من الكتابة لأنك لا تستطيع اعتزالها؟

–هذا بالضبط..

* ولكن من يضمن أنك لن تكتب حتى لوسافرت؟.

–لا أحد.. لكنني أنشد في السفر التجديد، الامتلاء كرة أخرى، وبلوغ عوالم لم أبلغها في رحلاتي السابقة.

* لك رأي معروف، وهو أن الكتابة مهنة حزينة، فهل مازلت على هذا الرأي؟

– ازددت ثباتاً عليه، إن الكاتب الذي يأخذ الكتابة مأخذ الجد يراها نوعاً من الأشغال الشاقة، وقد قلت وأكرر الكتابة مهنة حزينة ترهق روح صاحبها، ولكم استشعرت، حالات التعب، إن كلمات الإبداع تكتب بذوب القلوب لا بالحبر، ولكم تألمت خلال الكتابة وتوقفت ومزقت ماكتبت وعاودت ذلك من جديد.. إنني أحس بنار تتأجج في داخلي، والكاتب من دون نار في الداخل ليس بكاتب ومع أنني أتألم إلا أنني لا أستطيع أن أكتب إلا والفرح يتوهج في ذاتي.

* على ذكر الذات هل أنت تأخذ كل ما تكتبه من ذاتك، أو بمعنى آخر من معاناتك؟

–لا أذكر أنني أستطعت الكتابة بغير معاناة، إنني أعيش الحياة أولاً أعيشها لا لكي أكتب عنها، بل لأنها حياتي، أنا أحبها، وأقبل عليها، وأتقبل أحزانها وأفراحها واندغم فيها وألاحظها وفي الذاكرة أو في «دولاب المحفوظات الأدبية» كما قال تشيخوف اختزنت أشياء كثيرة وعن هذه الأشياء أكتب عندما يحين موعدها.

* تريد أن تقول إنك لم تكتب إلا ما رأيته أو عرفته؟

– مارأيته وعرفته وكذلك ما أضفت إلى هذه الرؤية والمعرفة من ابتكار، إن المعرفة والتخيل كل واحد في عملية الإبداع

وقد قال همنجواي:«إنني لاأعرف إلا ما رأيته» فعلق على ذلك الناقد الأميركي كارلوس بيكر قائلاً: «ليس معنى أن همنجواي لم يستبح الابتكار والإبداع ، لكنه التزم أن يكون ما يخترعه متساوقاً مع ما يعرفه من معرفة مشاهدة».

* نلاحظ أن حياتك العريضة الملونة الحافلة بضروب من المعاناة قد جعلت لك ذاكرة مماثلة فالبيئات التي عرفتها قد جعلت لك «بيئة ذاكرة» تعتمد عليها إلى حد بعيد، ومن هذه الذاكرة ككل كاتب أعطيت أعمالاً ترصد مراحل مهمة من تاريخ سورية، فهل يمكن أن تحدد لنا هذه المراحل التاريخية في رواياتك وقصصك؟.

– إن ذاكرتي هي تجاربي وبقدر ما تكون للإنسان تجارب غنية تكون له ذاكرة غنية لذلك كانت النصيحة الموجهة إلى الكتاب الشباب أن يعيشوا الحياة بعمق، وأن يتعرفوا إلى كل ما فيها، وأن يغادروا بيوتهم ومكاتبهم ليتعرفوا إلى بلدانهم وبلدان العالم، وأن يكون هذا المفهوم صادقاً لتأتي رؤيته صادقة،إن المعرفة المستقاة من الكتب تحمل إلينا تجارب الآخرين لكنها تظل تفتقر إلى تجربتنا نحن ولهذا علينا أن نعيش الحياة بجد، لاأن نعيشها كمزحة.

أما بالنسبة لي فقد عرفت الحياة من خلال الكتب والناس، ولم أسمح لأحدهما أن يحجب الآخر عني فلو حجبت الكتب عنا الناس أو لو حجب الناس عنا الكتب لم نحصل إلا على أحد شطري المعرفة وبقينا نظريين دون تجربة أو تجريبيين من دون نظرية ولم تستقم لنا المعادلة المطلوبة مع الاعتراف بأن التجربة ترتفع إلى مستوى النظرية في الممارسة العملية أحياناً.

لقد عرفت أشد البيئات تنوعاً وتبياناً في حياتي، وخاصة البيئات الشعبية في المدينة والريف، وعشت في الموانئ وشاركت العمال والصيادين والبحارة حياتهم، وذقت الفقر والجوع، وعصفت الأنواء في عائلتي حتى دارت بها كإعصار واختلطت بالمناضلين والثوريين، واعتنقت الأفكار الاشتراكية منذ فتوتي، وأدركت منذ وقت مبكر معنى الاستعمار والانتداب، وخبرت التمايز الطبقي، وأسهمت في النضال لأجل الاستقلال والحرية والعدالة الاجتماعية، وأحببت وطني الكائن، ولكنني أحببت أكثر وطني الذي سيكون وآمنت بالمستقبل الأفضل والقدر الأجمل وعملت لأجلهما ما وسعني وهكذا كتب علي أن أكون حديدة تصهرها نار التجربة في شتى المراحل، أقاصيصي الأولى كانت ذات مهاد اجتماعي واضح، وتناولت البيئة الفقيرة في نبرة صارخة الاحتجاج على الظلم النازل بها، لكن هذه الأقاصيص التي نشرت في صحف ومجلات سورية ولبنان لم أجمعها في كتاب ، وتخليت عنها بسبب مافيها من

.. المرأة والمستقبل هما قضية أدبي

مباشرة أو تقريرية.. مع العلم أنها كانت جيدة ومقبولة وقد قوبلت بحفاوة ثم تحولت منذ بداية الخمسينات إلى كتابة الرواية، وصدرت روايتي الأولى «المصابيح الزرق» عام ١٩٥٤، وهي تتحدث عن فترة الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها على بلادنا، وفي عام ١٩٥٦ كتبت « الشراع والعاصفة» ولم تنشر إلا في عام ١٩٦٦- وتتناول حياة البحر والبحارة والمجتمع السوري في الخمسينات وفي الأعوام التالية بدءا من السبعينات صدرت رواياتي الأخرى: « الثلج يأتي من النافذة»، التي تتحدث عن حياة كاتب مناضل يضطر إلى الهجرة والعيش في لبنان، ثم «الشمس في يوم غائم» و«الياطر» و«بقايا صور»، وهذه الأخيرة تتناول حياة عائلة في العشرينات من هذا القرن.

* عملية التخيل لديك رحيبة وغنية فكيف تتخيل البيئة التي تكتب عنها؟ وهل هذه البيئة خيال أم واقع؟ وهل هي من مخزونات الذاكرة؟ وهل يلعب الخيال الدور الأساسي في الكتابة الروائية، وكيف يصبح واقعياً؟.

- إذا كان خيالي رحيباً فذلك يعود إلى الصفة الأساسية التي جعلت مني روائياً، فالروائي بغير خيال كاتب بغير إبداع، ومن المفروغ منه أن الخيال ضروري لكل أديب أو فنان مهما تكون الأداة التعبيرية التي يستخدمها غير أن الخيال دون واقع هو خيال من النوع الذي يبني قصوراً في إسبانيا كما يقولون، إنني أسترجع البيئة التي أكتب عنها لأنني أعرفها معرفة مشاهدة، والواقع في هذه البيئة هو النواة، ولكن خلق هذه النواة في الصورة الأدبية المتكاملة من أحداث وشخوص هو من ابتكاري، ومن خيالي وقدرتي على المزج والتوليف والتوفيق بين الواقع والخيال، ونفخ الروح في الطينة العجيبة، على هذا فإنني خالق للواقع على صورة أخرى هي صورتي ومثالي، وإلا لكنت ناسخاً فاشلاً وكنت شهادة على الواقعية لا شهادة لها ومثلاً سيئاً لها مثلاً حيا على قدرتها الإبداعية الحية والخلاقة.

* أنت أديب واقعي باعتراف النقاد، فهل أحسست في عمل ما أن الواقعية تشكل معوقاً لك، وما هي حدودها لك؟.

-لا تشكل الواقعية أي معوق في عملي، بل هي تفتح حدوداً لا نهاية لها.

* إن الواقعية أغنى بكثير من ثوب الفقر الذي ألبسها إياه بعض الواقعيين السطحيين وكتاب تقارير شرطة السير الذين نسبهم بعض النقاد إلى الواقعية في محاولة مقصودة لإدانتها وتحويل الأنظار عنها إلى تيارات لا تخدم قضايانا مثل الرمزية المغلفة والسوريالية وغيرها.

إن الواقعية ذات مراحل كتاريخ للتيار الإبداعي، في الأدب، فمن الواقعية الطبيعية عند زولا إلى الواقعية النقدية عند تشيكوف، إلى الواقعية الاشتراكية عند غوركي- لقد كانت الواقعية النقدية ذات بعدين، هما الماضي والحاضر فجاء غوركي وأضاف إليها بعداً ثالثاً هو المستقبل.

إن هذه الواقعية التي أفتخر بالانتماء إليها تتميز بالأمل التاريخي والطموح إلى المستقبل، ورصد الأشياء في حركة نموها، وفهم مسارها وهي مدرسة إبداعية لها دقة ووضوح المثل الأعلى الفكري والجمالي، وإذ تلتقط الأفراد كأبطال فإنها تأخذهم في صراعهم مع الظروف التي تحيط بهم، ولكنها تشير إلى انتصارهم في هذا الصراع ودورهم الكبير في تطور الإنسانية.

ومن البدهي اننا بحاجة إلى هذه المدرسة في إبداعنا لأن الأدب الأشد فعالية في ظروفنا الراهنة هو الذي يعلم القراء أن التاريخ شيء يصنعه الناس، لاقدراً موجها ضد الناس، وأن مسيرة البشرية، برغم جميع المصاعب والآلام، مسيرة تتلاءم وإرادة الحياة والتقدم والسائرين على دروب النضال، وأن مثل هذا الأدب لا ينحني ولا يتزلف ولا يخضع، بل يدفع إلى العمل البناء وإلى الكفاح الشجاع في سبيل التحرر والتقدم، وضد أعدائها من مستعمرين ورجعيين.

إن فنان الواقعية الاشتراكية كما قال أندريه بوبوف في سعيه للتأثير في الصراع القائم بين أشكال الحياة الجديدة الوليدة والأشكال العتيقة البالية، والذي يهدف إلى مساعدة الشعب في بناء حياة عاقلة سعيدة، يجد نفسه مضطراً إلى التدخل بحيوية في صميم الحياة، وتالياً أن يفهم بعمق قوانين التطور الاجتماعي، ثم إن الواقعية الاشتراكية محيط يستوعب جميع الأنهار التي تصب فيه. إنها قادرة على أن تأخذ في تيارها جميع التيارات الأخرى، مثل الرمزية والرومانتيكية، والتعبيرية، وأن تتسع لاستخدام الأسطورة والحكاية الشعبية والمثل، وأن تكون لها في وقت واحد، عدة مستويات وهذه روايتي «الشمس في يوم غائم» شاهد على ذلك.

* ما هو دور الوعي: السياسي والاجتماعي في عملية الإبداع، وهل تحس أن وعيك يمارس عليك رقابة خاصة أو يثقل عليك؟

- الوعي هو كل العملية الإبداعية، شريطة أن يكون، كما الواقع، منعكساً في الذات المبدعة صادراً عنها، بكلمة أخرى ينبغي على الكاتب أن يفهم قوانين التطور الاجتماعي، وأن يمتلك مفهوماً متكاملاً عن العالم، وهذا الوعي في الذات هو، هو الذي يحدده في الإبداع، وبكامل الحرية، زاوية الرؤية ودرجتها، ويسعف الكاتب في انتقاء الذين يكتب عنهم والشكل الذي يكتب به، ويساعده في فهم نفسية الشخوص ودوافع سلوكهم في الحياة.

ولقد ساعدني هذا الوعي كثيراً، وحررني، وأتاح لي أن أبعث الحياة في شخوصي، لأنه زاد في معرفتي لهم ولظروفهم.

ماذا يبقى لذاتية الكاتب؟

كل الدول، كل الأشياء، في متناول الكاتب، ولكنها كلها تخرج من ذاته.

* نجد شيئاً من ذاتيتك في شخصياتك؟

- نجد شيئاً ولكن ليس كل شيء، أشخاصي ليسوا أنا، وليسوا الآخرين إنهم من صنعي، ولكن من نفحة الإبداع في الطين الذي هو مادتي في تشكيل أبطالي.

* إنك تسكب تألقاً فوق أشخاصك، فهل هذا موقف من الحياة؟

- إنه موقف في الفن مستمد من الحياة.

* هذا التألق هل هو وميض الشيء الذي لم تستطع الحصول عليه؟

-التألق في الشخوص الروائية ناجم عن قوة الروح المبثوثة فيهم وصدقها، وربما كان الوميض الذي لهم هو توقي إلى أن أكون مثلهم، إنني أبدع أبطالي، غير أنني كثيراً ما عانيت الحسرة لأنني غير قادر أن أكون مثلهم.

* وهذه الأحاسيس الحادة والمطامع الواسعة، والرغبات الجامحة، أليست رؤية شاعرية؟

-الروائي شاعر على طريقته- وكل نثر من دون شاعرية نثر غث وسقيم.

* والطروسية هل هي رؤية شاعرية للرجل والمرأة؟

-الطروسية هي فرح الحياة وكفاحها وشجاعتها، وقد قال الطروسي محدداً مفهومه للعيش بأن الحياة كفاح في البر والبحر وكل كفاح يقدم على الفرح والشجاعة يقدم على الشاعرية بالضرورة.

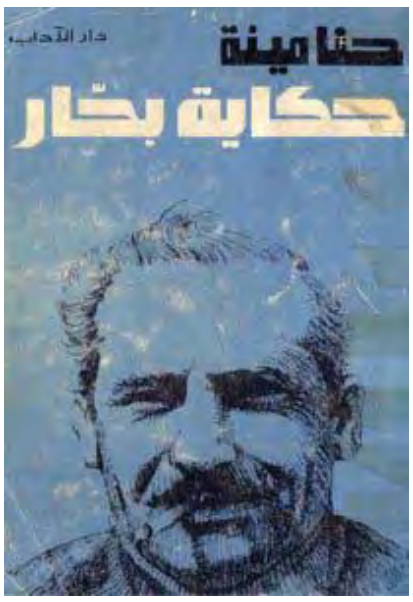

* المرأة الزوجة والأم، لماذا هي ناقصة الصفات لديك؟.

-من زعم هذا؟ المرأة والمستقبل هما قضية أدبي، ويأتي الحب دائماً رباطاً إنسانياً فيه كل الاحترام للمرأة وكل التجلي لأنبل الصفات فيها.. أقول أن الذين يزعمون غير ذلك لم يقرؤوا كتبي؟.

* في «الياطر» عفوية مذهلة، ولكن من ينقب فيها يجدها عفوية مدروسة فكيف توفق بين ذلك؟

-لست أدري أن عفويتي صادقة ولكنها واعية، وهذا ما يؤكد أن الوعي يزيد من القدرة على ممارسة العفوية في النطاق الذي لا تتحول فيه إلى فوضوية.

* لقد تأثرت بجملة من الروائيين والشعراء والرسامين والموسيقيين، فهل هذا صحيح، وهل يمكن تسمية بعضهم؟

- تأثرت ببعض الروائيين والشعراء وبشيء من الموسيقى والرسم، وفي كل مرحلة من العمر يكون للمرء كتابه المفضلون، النقاد هم الذين يستطيعون اكتشاف الروائيين الذين تأثرت بهم، أما احبهم إلى قلبي فهو همنجواي وقبله كان غوركي ومن الشعراء المتنبي وناظم حكمت ونيرودا.

* ما نوع مطالعاتك؟

- مطالعاتي متعددة، إلا أنني بحكم المشاغل مقصر في هذا المجال، ولهذا فإن ثقافتي ليست على النحو الذي يرضيني.

* هل تؤمن بالتجديد في أسلوب التقنية الروائية؟

- نعم.

* من هم الروائيون العرب الذين أعجبت بهم؟

- نجيب محفوظ وجمال الغيطاني، والطيب صالح وغسان كنفاني.

* ما هو أخر عمل أنجزته؟

- قصة « حكاية بحار».

* متى تنتهي روايتك الجديدة «المستنقع»؟

- هذا العام.

* هل لديك كتب تحت الطبع؟

- يصدر لي هذا الشهر كتابان: الأول مجموعة قصص عنوانها:«الأبنوسة البيضاء» والثاني كتاب بعنوان:«أدب الحرب» بالاشتراك مع زميلتي الدكتورة نجاح العطار.

* ومشاريعك؟

- كثيرة، وقد لا أنفذ منها شيئاً.. ذلك يتوقف على الوقت.. والمزاج الفني.

* أتعبتك؟

- جداً

* ولكن ليس إلى الدرجة التي تزيد في عزمك على اعتزال الكتابة؟

- لا ولكن إلى الدرجة التي تجعلني أعتذر عن المقابلات الصحفية مستقبلاً..

* صحيح؟

- هذه دعابة.

من ذاكرة الملحق الثقافي

العدد «٧» تاريخ ١٩٧٦/٤/٢٢

من العالم

لمن نكتب!؟

هي مناسبة أن نقدم من العالم القراءة التالية : ما الأدب ولكن بصيغة ثانية : لمن نكتب وذلك بمناسبة مرور قرن على ولادة الروائي حنا مينة نقف في هذا المقال الذي نشرته هند مسعد ويتناول رؤية سارتر للأدب قبل أن ينحرف عن الالتزام لنقدمه للقارىء العربي

«الكلمات مسدسات محشوة بالذخيرة، والكاتب متى تكلم فقد أطلق النار (جان بول سارتر)

ما هو الأدب؟ سؤال إشكالي لطالما أرق العديد من كُتاب النصوص، شعريةً كانت أم نثرية، ففي السنوات السبع الأخيرة انتشر أدب يسميه البعض بـ «الأدب الرديء».. ولعل أبرز من أجاب على سؤال «ما الأدب؟» هو الأديب والفيلسوف الوجودي الفرنسي جان بول سارتر، ٢١ يونيو ١٩٠٥ - ١٥ إبريل ١٩٨٠. ففي مقاله طويلة، نشره جاليمارد في عام ١٩٤٨، ناقش سارتر -وهو الذي يمتلك باعًا طويلاً في الأدب- مفهومه للعمل الأدبي في طرح فكري فلسفي صار فيما بعد واحدًا من أهم الأطروحات التي تناولت ماهية العمل الأدبي.

وتكمن أهمية طرح سارتر في محورين، المحور الأول: أن سارتر أديب كما هو فيلسوف.. بالتالي، فإن تفكيكه لسؤال ما هو الأدب وحجم الالتزام الواجب على الأديب نابع من أديب ومسرحي صال وجال في دروب الكتابة الإبداعية.

المحور الثاني، أن سارتر الفيلسوف الوجودي، والذي ظل حتى يومنا هذا علامة فارقة في تاريخ الفكر الفلسفي الفرنسي والفلسفة الوجودية بالتحديد، أضفى بكونه فيلسوفًا ثقلاً وبعداً لأطروحة «ما الأدب».. فالطرح هنا ليس أدبيًا صرفًا ولا فلسفيًا صرفًا بل كلاهما.

وسارتر بوصفه قطباً أساسياً للفلسفة الفرنسية المعاصرة، منذ نشر واحدًا من أهم أعماله «الوجود والعدم»، عام ١٩٤٣، صار أملاً جديدًا للشباب الفرنسي بعد أن خرجت فرنسا محطمة من الحرب العالمية الثانية.. وهي حالة تشابه ما نعيشه في واقعنا الحالي.. فالشباب العربي يعيش حالة من الارتداد على مختلف الأصعدة، بعدما انقلب الربيع خريفًا.. لذلك، نرى أن علاقة سارتر بمجتمعه وبالواقع الذي يعيش فيه، وهو نفس الواقع المتأزم للشباب الفرنسي حينها والشباب العربي الآن، كانت منظوراً أساسيًا شكّلَ من خلاله سارتر فلسفته الوجودية ومناهجه الأدبية، بعد عام ١٩٤٥.

وبأخذ معطيات الواقع الفرنسي، اجتماعيًا وسياسياً بُعيد الحرب العالمية الثانية بعين الاعتبار، سنرى أن الفلسفة والأدب هما وليدا الحقبة الزمنية في نهاية المطاف، ويقتضي كلاهما نوعًا من الالتزام تجاه معطيات ذاك الواقع.. وقد كان هدف سارتر من طرحه لإشكالية «ما هو الأدب؟» ليس الرد على سؤال إشكالي فقط، بل الرد أيضًا على من انتقد فكرة سارتر القائمة على أن الأديب يجب أن يكون ملتزمًا تجاه قضية ما، حيث اعتبر نُقاد ذاك المبدأ أن الالتزام يتناقض مع حرية الكتابة الأدبية.

ويبدأ رد سارتر على النقد الموجه لفكرة «الالتزام»، التي طرحها في فلسفته الوجودية، في صفحة رقم ٨، من الترجمة العربية للدكتور محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، قائلاً:

«ويتساءل بعض ذوي العقول الجدلية: <إلام هذه الدعوة؟ إلى الأدب الملتزم؟ إذن هذه هي الواقعية الاشتراكية القديمة، إن لم تكن تجديداً في النزعة الشعبية، على نحو أعنف، كم من حماقات! ذلك أنهم يقرؤون مسرعين دون أن يتدبروا، ويحكمون قبل أن يتثبتوا.. وإذن، لنبدأ من جديد، وليس في الأمر مسلاة، لا لي ولكم، ولكن علينا أن نسبر غور المسألة.. وما دام النُقّاد يدينوني باسم الأدب، دون أن يقولوا ما يفهمونه من مدلوله، فخير ما نجيبهم به أن نبحث فن الكتابة بدون مزاعم، مُتسائلين: ما الكتابة؟ لماذا نكتب؟ ولمن؟ وحقًا يبدو أن هذا هو ما لم يسأل إنسان نفسه قط.»

وبالتأسيس على تلك الأسئلة المطروحة يبدأ سارتر الإجابة تفنيدًا لآراء معارضيه، وهم عددٌ من الأدباء والمفكرين وأبرز م الكاتب المسرحي «جان جيرودو».. ويُسلسل سارتر طرحه في «ما هو الأدب» في عدد من النقاط أبرزها التأكيد على أ مية مبدأ الالتزام.

فيما بعد، يستعرض العمل بشكل رئيسي ضرورة التزام الكاتب بموقف أو قضية ما.. فالكاتب يستخدم الكتابة لتوصيل رسالة أو موقف من قضية أو موضوع.. ثم يمضي سارتر مؤكدًا على أهمية الإقرار بأن القارئ يجب أن يكون على اتفاق مع الكاتب على حرية الفهم والتأويل.

الفكرة ذاتها يمكن تطبيقها على الواقع الأدبي المعاصر.. هل الكاتب مُلزم بتناول بقضية ما أو أن يكون للعمل مبحث ما / theme يدور حوله.. هل أي كلمتين على ورق يُمكن نشرها على أنه كتاب.. ألا يكون هذا نوعًا من تمزيق الوعي!

ما هو مبدأ الالتزام

يقوم مبدأ الالتزام في العمل الأدبي عند سارتر على اعتبار أن العمل منتج اجتماعي بالأساس مُتَصبغ لا محالة بإشكاليات الوجود الإنساني المعاصرة له أو التاريخية، وهذا لا ينفي أن يكون للعمل صبغته الفردية.

إلا أن هذه الصبغة الفردية هي الأخرى تشكلت وصار لها هوية بحكم المعطيات التي يفرضها الواقع.. وهنا نرى تأثيرًا واضحًا لوجودية سارتر على رؤيته الأدبية.. فالوجودية التي قامت في جوهرها على موقع وأهمية الإنسان في العالم، ولأن واقع الكاتب ووجوده هما ما يُشكلان هويته، فإن الهوية الأدبية وليدة للحالة الوجودية التي يختبرها الإنسان وهي محيط يدور فيه الكاتب ولا يخرج عنه.

قياسًا على ما تقدم، فإن عددًا ضخمًا من المطبوعات، التي تتعامل مع معرض الكتاب من منطلق سوق العرض والطلب، يُمكن شطبها بالكلية من جنس الأدب إذا ما أخذنا بعين الاعتبار مبدأ الالتزام.

ويرى سارتر أن مبدأ الالتزام ذاك لا يطال الفنون التشكيلية أو النحت أو الموسيقا ولا حتى الشعر بل ينطبق على النصوص النثرية فقط.

وفكرة عدم التناظر تلك، يطرحها سارتر، قائلاً«وليست التفرقة بين الأدب والموسيقا أو الأدب والرسم تفرقة في الشكل فحسب، بل تفرقة في المادة أيضًا، فعملُ أساسه الألوان أو الأصوات ليس كآخر مادته الكلمات.. فليست الألوان والعلامات والأشكال بعلامات ذات مدلول.»

وينطلق سارتر بعد ذلك إلى اعتبار الشعر، في جوهره مثل الرسم والنحت والموسيقىالا ينطبق عليه مبدأ الالتزام. فهو يرى أن الشعر يستخدم الكلمات كالنثر لكنه لا يستخدمها بنفس الطريقة.. والأكثر، أنه يرى أن الشعر لا يستخدم الكلمات بحال، بل يخدمها.

«الشعراء قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية.. وحيث أن البحث عن الحقيقة لا يتم إلا بواسطة اللغة واستخدامها أداة.. فليس لنا إذًا أن نتصور أن هدف الشعراء هو في استعراض الحقائق أو عرضها وهم كذلك لا يفكرون في الدلالة على العالم وما فيه.

من هنا فإن «الناثر»، كاتب النصوص النثرية، هو المقصود بمبدأ «الالتزام» فالعمل النثري قائم في جوهره على استخدام الكلمات كدلالات يمكن تأويلها لفهم الأشياء.. من ثمّ، يضع سارتر قاعدة مفادها أن «اللغة النثرية، بسبب طبيعتها النفعية، هي امتداد لحواسنا.»

ويرى سارتر أن جان جيرودو كان على خطأ، حين قال عن النص الأدبي: «المسألة أولا مسألة أسلوب، أما الفكرة فتأتي بعد ذلك.» فكما أن العلوم الطبيعية تضع أمام علماء الرياضيات مسائل جديدة، تدفعهم الى وضع رموز جديدة، فكذا المطالب المتجددة في المجتمع، وفيما وراء الطبيعة، تدفع الفنان دائمًا إلى البحث عن وسائل فنية جديدة، ولغة جديدة.

ونرى هنا أن سارتر مرة أخرى مُتأثر بالوجودية وبالظاهراتية في آن.. ففي الوقت الذي يرى فيه سارتر، كفيلسوف وجودي، أن الإنسان هو الوسيلة التي تتبدى بها الأشياء، وهو العامل الرابط بين كل مكونات الوجود، وله أهمية مركزية فيه، يظهر هنا متأثر بالفلسفة الظاهراتية القائمة على مبدأ «الما ية تسبق الوجود».

فحسب فلسفة الألماني إدموند وسرل، ٨ إبريل ١٨٥٩ - ٢٧ إبريل ١٩٣٨، مؤسس الفلسفة الظاهراتية، فإن الظاهراتية تأخذ بالظوا ر الموجودة الملموسة المرئية: «الأشياء توجد أولا ثم تتحدد ما يت ا»[وقد كان ذاك مبدأ إشكاليًا بين جيرودو وسارتر: الموضوع أسبق أم الشكل! وهي قضية مختلف على ا من القدم وتتجدد في كل عصر، وقد كانت إشكالية فكرية ونقدية بين اثنين من كبار علماء المسلمين هما الجاحظ وابن قتيبة.

ومع ذلك، فقد كان سارتر واعيًا بالكامل أن الكلام أعجز من أن يُغير من الشر المحدق في كل آن.. ذلك أن «الخطأ» سمة مُتأصلة في النفس البشرية لا فكاك منها.. ودور العمل الأدبي هنا هو السمو بتلك النفس عن الزلات والخطايا.

إلا أن سارتر يتنازل عن تلك الرومانسية الحالمة حين يقر أن: «على الكاتب أن يتخلى عن قلمه في وقت ما وأن يحمل السلاح للدفاع عن الحرية».. فهو يدرك أن لا الكاتب ولا الكتابة تستطيع أن تغير العالم.

وهذا الوعي بمدى قوة وتأثير الكتابة هو أمر حيوي لابد أن يعيه الكاتب.. فالناثر على حد قوله: «هذا الإنسان الحر الذي يتوجه إلى أناس أحرار بالضرورة سواء تناول في أدبه الأهواء الفردية أم هاجم النظام الاجتماعي برمته».

لذلك، فإن الناثر، شاء أم أبى، حين يُباشر في عملية الكتابة، فإنه يُصبح ملتزمًا تجاه فكرة ما أو قضية ما وهي فيما بعد ستكون «المباحث / themes» التي يدور حولها العمل الأدبي.. وطالما أن المباحث على تعددها هدفها إعلاء الحق على الباطل وتحرير الإنسان؛ فإن كل كاتب ملزم بمقاومة الاستبداد والفاشية لأن «كل محاولة لاستعباد قرائه تهدد فنه مباشرة.»

نفس الفكرة لو تم تطبيقها على وابل المطبوعات، الذي أغرق السوق بعد الربيع العربي بالذات، سنرى أن هناك جزءاً ضخماً من هذا الوابل لا يحتمل أن يكون إلا مجرد هراء.

لمن نكتب؟

يرى سارتر أن الناثر لا يستطيع الكتابة دون أمرين: «دون جمهور ودون أساطير».. والكاتب يتوجه لكل الناس من خلال شخصيات أعماله.. فكما تتراءى الحرية الخالدة على الأفق من خلال التحرر التاريخي الذي يجتهد الكاتب في تتبعه؛ فإن كل عمل نثري هو مشروع إنساني يتجاوز حدوده الواقعية، ويمتد قليلاً قليلاً إلى ما لا نهاية على حد تعبير سارتر.

لذلك يرى سارتر، أن الكاتب إنما يكون مُلتزمًا: «حين ينقل لنفسه وللآخرين ذلك الالتزام، من حيز الشعور الغريزي الفطري الى حيز التفكير، والكاتب هو الوسيط الأعظم، ويتجلى التزامه في وساطته تلك»، أمرٌ آخر يراه سارتر، هو أن اختيار الكاتب لموضوعه يعني بشكل ما اختيار الجمهور الذي سيقرأ العمل.. لذلك، على الكاتب أن يكون واعياً بالاختلاف بينه وبين الفئة المستهدفة فيكون ضميرًا حيًا يواجههم بحقيقتهم من الداخل والخارج.

يرى سارتر وفقًا لمؤلفه التاريخي «ما الأدب؟»، أن الأدب هو كل نص نثري.. وأن الشعر كالنحت والموسيقا والرسم لا يُمكن استخدامهم لفهم الحقيقة والتدليل عليها.. فالشعر، يخدم اللغة، أما النثر فإن اللغة هي التي تخدمه، كذلك، فإن الكاتب متى باشر بكتابة النص النثري فإنه لا محالة ملتزم بقضية ما.. وهذا الالتزام نابع من أثر العوامل الميتافزيقية والسياسية والاقتصادية في تكوين الشخص.. وهو هنا مُتأثر جدًا بالمذهب الوجودي، بحكم توجهه كفيلسوف وجودي، ومتأثر أيضًا بظاهراتية هوسرل.

ثم يجيب سارتر على سؤال لمن نكتب بأن الكاتب يختار جمهوره حين يختار الموضوع.. وأن أي نص نثري أدبي يرمي إلى الانسلاخ عن إشكاليات الوجود وقضايا الواقع إنما هو في جوهره يفتقر لأبسط مقومات العمل الأدبي ألا وهي الرغبة في إعلاء حرية الفرد.. ويصب ذاك غالبًا في مصلحة الطبقة البرجوازية، حسب سارتر، لأن الكاتب بذلك يُساهم في «تمزق الوعي.»

الخطر قريب

بادر سيف

و الماء يسير
وهـذه الجحـافل المترافقـة المتقدمة
صوب الهلاك
ليس لها حل سوى إتباعي إلى قمة
الظل المسترسل في عنفوان الفكرة
لذا ارجموا الصواعق المتراكمة أمامكم
ليعود الكلام الغض
اسكنوا أقبية الفضيلة
ففيها ملائكة تحرس الأطفال
النساء و العجائز
أما القامات السامقة المتطاولة دعوها
في براثن الشواهق
ستنزل يومًا
و لي فراشات الحقيقة تراقص أنغام
الذكرى
لي حطام الحب المرتعش أمام مرايا
الأميرات
لي شجاعة الضحك في حضرة نبي
هناك في رأس الجبل ينام قطر الندى
هناك قرب جرن العقل
يلتف الواقع بود الحياة ببراعم
الردحة
.. هناك حيث ينام شجر الزعرور على
حنق الطير..تلهو أرواح صغيرة في
ضمائر السجن المتشظي..لن تموتوا
من ضحك خفيف في صينية الأنفس
البهية
بل ستعرفون لطافة الأبنوس
متعة الرقص مع بدائية الأشكال
هناك الأرواح الهادئة
ثقل الأخشاب المصلوبة على صبار
النفس
هناك ينتظركم يوم جميل مليء
بالعصف و الهبوب
يا إخوتي العابرون لجسر الكناية
لا تسرعوا في مشيتكم و لا في
أحلامكم
إن شجرة الحكمة ذات الظل الوارف
تتسع لكم جميعاً
إنها تنتصب وسط غابة الزان الأحمر
امضوا إلى شساعة النار
لهفة الدفء و اللقاء
امضوا إلى سماحة العشب، عتمة
الأعماق
والآن سأعود الى كهفي، إلى مثوى
الظنون أعيد ترتيب التواشيح
أكنس غابتي من الرذيلة
أصلي لأغوار الحقائق الخالدة
والأنفس الزكية.

نقش سوري

نجيب محمود الريس

سلام الفاضل

هو صحفي سياسي، وناشر، ومفكر سوري (١٨٩٨-١٩٥٢).
ولد نجيب الريس سنة ١٨٩٨ في مدينة حماة السورية وتلقى علومه الأولية في مدارسها الخاصة ثم ارتحل عنها إلى مدينة حمص مع والده، الذي تم تعيينه رئيساً لشرطة المدينة، حيث تابع دراسته على أيدي كبار أساتذة اللغة العربية والدين.
قصد الريس دمشق عام ١٩١٩ وجعلها مقره وعمل في الصحافة السورية وراسل بعدها عدداً من الصحف اللبنانية من بينها «الأحرار» و«النهار» ثم انتقل إلى إصدار جريدة القبس عام ١٩٢٨ فكانت ديواناً للحركة القومية وسجلاً للنهضة الوطنية في سورية وفي الأقطار العربية، وأصبحت القبس من أشهر الصحف السورية وأكثرها تمتعاً بثقة أبناء الشعب السوري. اندمجت جريدة القبس عام ١٩٥٣ مع «جريدة العلم» الدمشقية لعزة حصرية عند إصدار قرار الرئيس «أديب الشيشكلي» بدمج كل صحيفتين في البلاد في صحيفة واحدة، وأصدرت باسم جريدة الزمان عام ١٩٥٢، انفصلت بعد ذلك عن صحيفة العلم عند انتهاء قرار الاندماج، اقترح فيما بعد ورثة «الريس» وعزة حصرية دمج الصحيفتين دمجاً اختيارياً وبالاتفاق بينهما، وأصدر العدد الأول عام ١٩٥٤ باسم«القبس العلم» لكنها سرعان ما عادت لتصدر مستقلة.
وقد اشتهر نجيب الريس إضافة إلى تميزه في العمل الصحفي بنضاله في الحقل الوطني، فكانت افتتاحياته سياطاً من نار، على المستعمر الفرنسي، ولذلك كانت «القبس» تعطل المرة تلو المرة حتى انتهى الأمر بدفعه ثمنا كبيراً لذلك سجناً ونفياً من قبل السلطات الفرنسية. كما اكتسب شهرة واسعة عبر نشيده الوطني الشهير «يا ظلام السجن- يا ظلام السجن خيّم» الذي نظمه في المنفى في جزيرة أرواد التي نفاه إليها الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٢، وفي الفترة الواقعة ما بين ١٩٢٠ و١٩٤٣ كان نجيب الريس نزيل السجون والمعتقلات والمنافي في قلعة دمشق، المزة، وحلب، وبيروت، وراشيا، وغيرها حتى بلغ مجموع ما قضاه من عمره في السجون نحو ثماني سنوات.
كان الريس حراً نبيلاً ذا مبادئ لذا انتخبه أبناء دمشق عام ١٩٤٣ نائباً عنهم على قائمة الرئيس شكري القوتلي أربع سنوات، واشتهر في البرلمان خطيباً مفوهاً جريئاً في الدفاع عن قضايا البلاد ومصالح الشعب، ولم يرشح نفسه للانتخابات بعدها، وانقطع لجريدته يكتب ويطالب بالمحافظة على الاستقلال وصيانته، مفضلاً العمل الصحفي على العمل النيابي، مطالباً الحكومات بتعزيز الاقتصاد وتدعيم الزراعة والصناعة وزيادة الإنتاج.
قصيدة يا ظلام السجن
يا ظلام السجن هو عنوان قصيدة نظمها الصّحفي السّوري نجيب الريس في عام ١٩٢٢ عندما كان سجيناً في سجن جزيرة أرواد على الساحل السوري (بالقرب من طرطوس)، وكان الريّس من المعارضين للانتداب الفرنسي على سوريا.
هذه القصيدة على وزن مجزوء الوافر تم تلحينها من قبل الملحّن الكبير محمد فليفل، وصارت أغنية تحمل الاسم نفسه:

يا ظلامَ السّجنِ خَيِّمْ
إنّنا نَهْوَى الظلَامَا
ليسَ بعدَ الليلِ إلا
فجرُ مجدٍ يتَسَامى
إيهِ يا دارَ الفخارِ
يا مقرَّ المُخلصينَا
قد هَبَطْنَاكِ شَبَاباً
لا يهابونَ المَنونا
و تَعَاهدنا جَميعاً
يومَ أقسَمْنا اليَمينا
لنْ نخونَ العهدَ يوماً
واتخذنا الصدقَ دِينَا
أيها الحراس رِفقاً
واسمَعوا منّا الكَلاما
متّعُونا بهَواء
منعُهُ كَانَ حَرَاما
لستُ واللهِ نَسيّاً
ما تقاسيه بِلادي
فاشْهَدَنْ يا نَجمُ إني
ذو وفاءٍ وَ وِدادِ
يا رنينَ القيدِ زدني
نغمةً تُشجي فُؤادي
إنّ في صَوتِكَ مَعنى
للأسى والاضطهادِ
لم أكن يومًا أثيمًا
لم أخن يومًا نظاما
إنما حب بلادي
في فؤادي قد أقاما
وفاته
واصل الريس عمله في الصحافة إلى أن شعر ببعض التعب فقصد حمامات الحمة السورية للاستشفاء ومكث فيها بضعة عشر يوماً، ثم عاد منها تعباً وعالجه نفر من مهرة الأطباء وتماثل من المرض إلا أن المنية عاجلته فدفن في دمشق.
من مؤلفاته
كتاب «نضال» هو أول كتاب صدر لنجيب الريس سنة ١٩٣٤ في مطبعة القبس بدمشق وقد جمع عددا من مقالاته التي تناولت أحداثا مهمة في تلك الفترة وأعيد الآن نشر الكتاب دون أي تعديل

إذ استمر على الصورة التي ظهر بها في طبعته الأولى. ووصف هذا الكتاب الذي يقع في ٣٦٦ صفحة متوسطة بأنه يعتبر نموذجا لأسلوب نجيب الريس«الحار والخاص الذي كان يمارسه في جريدته» القبس«ودليلاً على مواقفه السياسية الوطنية في الدفاع عن استقلال سوريا ووحدتها»، أما الكتاب الثاني لنجيب الريس «جراح» فقد صدر بعد وفاته بأشهر قليلة عام ١٩٥٢ وأعيد طبعه بعد ما يقارب ست وخمسين سنة دون أي تعديل أو تنقيح، وتروي مقالات هذا الكتاب الذي يقع في ٢٢٠ صفحة متوسطة الحجم أحداث سوريا بين سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٤٥ «حيث كانت الحياة السياسية السورية صاخبة وحافلة بالثورات والنضال ضد الاستعمار والمطالبة بوحدة البلاد واستقلالها»، أما كتاب «القبس المضيء» الكتاب العاشر في سلسلة «الأعمال المختارة» التي أصدرتها دار رياض الريس سنة ١٩٩٤ فهو «كتاب عن نجيب الريس وبقلمه»، ويضم الكتاب الذي اشتمل على ٤٧٠ صفحة كبيرة بعض ما نشر عن نجيب الريس في حياته وبعد وفاته إلى جانب ما كتبه هو من متفرقات «في الصحافة اللبنانية تحديداً مما يلقي أضواء جديدة على حياته ومواقفه»، وتابعت دار النشر تقول: وقد أضيف إلى هذا الكتاب بطبعته الجديدة بعض المقالات والصور التي غابت عن الطبعة الأساسية».

إلى الأمهات

سهير زغبور

لأن الأم هي أولى المعلمات.. في حياة الإنسان.
ولأن التعليم ليس فقط مجرد مهنة يؤديها الإنسان كوظيفة.. إنما هو ذلك البعد الأخلاقي قبل كل شيء والعاطفي أيضاً.
ولا أقصد هنا إن أخص به المعلمات بل أمد جذوره المجازية إلى المعلمين أيضاً.
ولأنني أم.. ومعلمة.
ولأن أمي غادرتنا منذ زمن طويل.
ولأن كل تلك التفاصيل تصب في بوتقة الروح.
أجدني في منتصف الكلمة.
الأم مظلة أحمل مطر الكون فوق قصيدة
مازالت حبة قمح في قلبي.
سأترك لفصول العطاء إن تنبتها.
وحين تنمو.
أحب أن أقرأها بعيون كل من حولي.
خبز حياة.
كل عام وأنتم بخير.
والرحمة لمن غادرنا.. أمهات ومعلمون.

قصة قمر..

علم عبد اللطيف

رأى قمراً يودّعه..فأحزنَه تَواريهِ
ودار بعينه جَزَعاً..وتابَعه يناجيهِ
فلم يحفَلْ بنجواه..وغاب وراء واديهِ
أضاع بفقده حلماً..وضيّع قلبَه فيهِ

ونجواه وما كانت..به الأشواق ترويهِ
كبيتٍ كان ملتجأً..تخيّره ليحميه.
أشاحَ كمن يودّعه..بقلب كان يبكيه
وسارَ وكلّه شجنٌ..وبعضُ الحزن يشجيه

وعند الفجر عاوَدَه..وأمعنَ في تجلّيهِ
فأمسكه وأدناه..وأسكنه مآقيه
وأغلقها على حذرٍ..كمن يخشى تلاشيه
يعلّل روحَه فيه.. بأن يبقى يواسيه.

رحيق المطر

منى حبابة

قطعت ألف شوط
وألف حلم وألف هم
وألف قصيدة
وعدد كبير من ضربات الشمس
وألف برعم
قطعت ألف حبل مشنقة
وألف طريق وألف سفر

وألف كتاب وألف حديقة
سكبت المواويل في كأسك العجب
وألف قنديل ملأته بالزيت المعمد بالنهر المقدس
مزقت قميص الليل.
وتركت أزراره النجوم مع الوصايا.
ونزعت الألوان عن الحكايا

قطعت بالشهور كعكة العيد
ورقصت الألحان على الوتر
حين وصلت إليك بأنفاس الضجر
وصلت إليك دون جواز
وقطعت عليك من دمعتي رحيق المطر.

قطعة سكر

ميساء زيدان

الليلة حط على شباكي عصفور أخضر
كي يسرق مني ..
لا أدري من أي جهات
باقة زعتر
يلغو مثل الينبوع على درب السهل
و يناغي أعشابي

ويقول بلا خجل
أتمر عصافير أخرى في حقلي
فيترجم قلبي نصف حكاياه
والنصف الباقي أخفيه
مثل النون بقلب العنبر
أغفو حينًا
و يظل بعيدًا بين قصائده يسهر

خوفًا أن يكسر نافذتي
ركضت كفي كي تفتحها
و مددت لساني كي أعطيه قطعة سكر
.. الليلة حط على شباكي عصفور
أخضر

جديلة القلب

نرجس عمران

عندما تضافرتْ كلُّ الأحاسيس
في جديلة القلب
أيقنتُ أن رياحكَ هادرةٌ
وشتاؤك دافٍ
واستوقفتني نفسي لبرهةٍ
فمنذ متى ينبتُ الرّبيع
في روحي ؟!
منذ متى تحلّق أسراب الخجل
في وجنتي؟!
جيئةً وذهاباً

وحالَ أيقنتُ أن أخرى تسكنني
هرعتُ إلى مرآتي
أيّة مرآةٍ !!!
هرعتُ إلى كلّ زجاجة صادفتني
أتأكدُ منّي
فلستُ أنا من يستوقفها الحبُ
ولستُ من تستوقف الزّمن
للحظة شوقٍ
لستُ من تستريح
في محطة العواطف المباغتة

ولكن في كلّ مرآةٍ
عانَقَتها نظراتي
حتى في زجاج المحال المتكسرة
وبرك الماء الرّاكدة
ونوافذ السّيارات المغبرة
كنتُ أرى جيوشاً من الجمال
تغزوني
وفيالقَ وسامةٍ
تتحاربُ لتحتلّني
يبدو أنني فقدتُ زمام أمري

وبدأتْ كثبان الدّهشة
تقودني
إلى دوحٍ صافٍ
مددتُ يدي أتحسسُ
شعري
أحسستُها لم تصل إليه
رغم أنّها وصلتْ
وكأنّ نخيل الكبرياء
قد شهق علواً في نبضي
رفقاً بي أيّها الوَسيم

فأنا لم أعتد مداعبات العشق
ولم ترقني يوماً دغدغات الغرام
أيّها الوسيم المتوسدُ
في رحى الورد
لقد استنزفتَ أخر عطر فيه
حتى بات صدري
قارورةً مقطرةً منك
نعم
كلُ هذا وأكثر